ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 39 - العدد 1115 - الجمعة 4 ربيع الثاني 1426 هـ - الموافق 13 ماي 2005

بسم الله الرحمن الرحيم

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

صدق الله العظيم

فضل حفظ القرآن الكريم

مدونة الأسرة بين الدليل العلمي والواقع التطبيقي

البحث عن الحلال عبادة

النهي عن الغش

صرف المشيئة إلى معلق عليه

قبس من أخلاقه صلى الله عليه وسلم

-1-

إن المناسبات الدينية والأعياد والاحتفالات الإسلامية لها دلالتها ومعانيها ولها أهدافها ومغازيها التي ترمي إلى خدمة الصالح العام وتدعو إليه، وإن احتفاءنا بعيد المولد النبوي الشريف ليعطي دليلا قاطعا على ما نكنه من حب وإجلال لصاحب الذكرى وإيمان راسخ بصاحب الرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فمحبته عليه الصلاة والسلام تكمن في اتباعه والاهتداء بهديه، قال تعالى: "**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**".

وإن الاحتفال بهذا العيد يرمز إلى معان سامية من جملتها تمجيد ما جاء به نبي الرحمة وشفيع الأمة من إصلاح المجتمع وتقويمه وتهذيبه والسهر على تحقيق ما فيه خير عاجله وآجله، كما أننا نجد في هذه المناسبة العظيمة فرصة سانحة تتيح لنا أن نتدارس سيرته صلى الله عليه وسلم فنستفيد منها ونعطر مجالسنا بذكر جوانب من حياته، ونمتع مسامعنا بترداد جملة من أعماله الحافلة بالقيم، والداعية إلى إصلاح النفس وتهذيب الشيم.

إخواني في الله: إن الله عز وجل كرم الإنسان وركب فيه من الإدراك ما جعله مؤهلا لأن يكون العنصر الصالح المتحلي بأخلاق النبل والفضيلة، وإن الأخلاق النبيلة هي تمام إنسانية الإنسان.

التعريف بالأخلاق:

للأخلاق مفاهيم عدة وتعريفات كثيرة، يرى بعض الباحثين الغربيين أن الأخلاق هي: مجموعة عناصر الشخصية كالفكر والعاطفة والغريزة، ويعرفها البعض بقوله: الأخلاق الطبيعية (الإرادة) ويقول الثالث في تعريفه: الخلق ميل نفسي يتحكم في الغرائز، ويرى الرابع: أن الأخلاق تنسيق الميول الطبيعية والعواطف وترتيبها.. الخ.

هذا هو المفهوم الغربي لتعريف الأخلاق، ولكن الأخلاق في الإسلام حددها القرآن وبينها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله، وشخصها عليه الصلاة والسلام في عمله، وإليك مفهوم الأخلاق عند البعض من علماء الإسلام الدارسين له والباذلين حياتهم في خدمة العلم وإبراز المنهاج الإسلامي على حقيقته.

إن معنى الأخلاق في لغة القرآن الكريم هو السجية والطبع، ويعرف الإمام الغزالي الخلق بما يلي، فيقول: (إن الخلق عبارة عن هيأة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا).

ويقول ابن القيم في كتابه مدارج السالكين: (حسن الخلق يقوم على أربعة أركان لا يتصور قيام ساقه إلا عليها: الصبر، والعفة والشجاعة، والعدل).

فالصبر يحمله على الاحتمال وكظم الغيظ وكف الأذى والحلم والأناة والرفق وعدم الطيش والعجلة.

والعفة تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل، وتحمله على الحياء وهو رأس كل خير، وتمنعه من الفحشاء والبخل والكذب والغيبة والنميمة.

والشجاعة تحمله على عزة النفس وقوتها على إخراج المحبوب ومفارقته وتحمله على كظم الغيظ.

والحلم فإنه بقوة نفسه وشجاعته يمسك عنانها ويكبحها بلجامها عن النزق والبطش كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب) وهو حقيقة الشجاعة، وهي ملكة يقتدر بها العبد على قهر خصمه.

والعدل يحمله على اعتدال أخلاقه وتوسطه فيها بين طرفي (الإفراط والتفريط) فيحمله على خلق الجود والسخاء وعلى خلق الشجاعة الذي هو توسط بين الجبن والتهور، وعلى خلق الحلم الذي هو توسط بين الغضب والمهانة وسقوط النفس، ومنشأ جميع الأخلاق الفاضلة من هذه الأربعة.

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

التوجيهات الإسلامية في الحجة النبوية

-21-

إن مسيرتنا مستمرة مع توجيهات رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته الكبرى يوم عرفة تاسع محرم من السنة العاشرة يوم الحج الأكبر وهو يضع المنهج الإسلامي للحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للأمة الإسلامية ووصلنا إلى الفقرة الخامسة التي يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم "فمن كانت عنده أمانة فليؤديها إلى من ائتمنه عليها

إن حاجة الناس إلى ائتمان بعضهم على أموال غيرهم عمل كان جاريا في تقاليد وحياة العرب فلم تكن بيوتهم وخيامهم تحتمل حفظ الأموال والسلع عند أسفارهم الطويلة، وقد رأينا بعض الصور عن هذه الرحلات التي كانت تأخذ منهم أحيانا نصف السنة في رحلتي الشتاء والصيف وبلاد العرب في ذلك الوقت وأعنى بها منطقة مكة والمدينة وما حولهما كانت شبه صحراء، بل كانت مكة خالية من أي ساكنة قبل مجيئ سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل مع أمه سارة إليها، ولما أحدثت مدينة مكة بعد ذلك وكان لمنبع ماء زمزم قرب البيت الحرام دور كبير في تكوين مجتمع مكي بالموقع.

وفي أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت الحياة التجارية تقليدية بالانتقال لجلب وسائل العيش شمالا جهة الشام وجنوبا جهة اليمن. ومن هناك انتشرت عادة الائتمان على الأشياء لدى بعض الأطراف، وعادة السلف بفائدة لدى البعض الآخر، ولم تكن الأمور موثقة بالقدر الواجب فكانت سيادة الأخلاق والثقة تغلب على التعامل الاجتماعي، ومن أجل تثبيت هذا الجانب في الحياة العربية وجعله أصلا من أصول نظام العلاقات الاجتماعية بين المسلمين ثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم القاعدة وأوصى أصحابه بارجاع الأمانات إلى أصحابها، لأن ذلك يركز إحدى الخصال الاجتماعية الدينية في الأسرة الإسلامية، وإذا لم يقم المؤتمن برد ما أمنه عليه الناس فإن ذلك يكون خيانة، واستيلاء على مال الغير بدون حق، وتغيير العادات والتقاليد العربية الصحيحة التي جاء الإسلام للحفاظ عليها وترسيخ جذورها، والوصية النبوية جاءت بصيغة الأمر (فليؤدها) أي فليردها إلى صاحبها، لتبقى علاقة الثقة ثابتة في الحياة العربية الإسلامية، وليكون انتقالها إلى الغير عن طريق الممارسة والتطبيق العملي للسلوك.

الأستاذ أحمد أفزاز

النائب الثاني للأمين العام - رئيس غرفة بالمجلس الأعلى شرعي

تتمة في الصفحة 2

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

عدل عمر وأريحية العباس

■ إعداد الأستاذ: عبد القادر الطويفة

■ إن التربية النبوية التي سعد بها الصحابة رضوان الله عليهم والتي أكرمهم الله بها، تعد من أبلغ المعجزات لصاحب الرسالة الخاتمة، فالصحابة رضي الله عنهم واسطة بين الأمة الإسلامية ونبيها، عنهم تلقى التابعون الشريعة وأحكامها، وعنهم تواتر القرآن المجيد، ونقلت السنة، وماتضمنته من أخلاق وآداب ومثل عليا، ومحبة، وتسامح، وتكريم الإنسان،واعتباره وجدارته، فتحلوا بالأخلاق العالية، والخصال النبيلة وبروح البذل والعطاء، والتفاني في نشر الدعوة الإسلامية، والرسالة المحمدية، والتبشير بالهدي النبوي، وعقيدة التوحيد الخالص، الذي يليق بجلال الله وعظمته، وتفرده بالربوبية، وتنزيهه عن كل ما لا يليق به من شوائب الشرك، والعبودية لغير الله الواحد الأحد.

فالصحابة رضوان الله عليهم أثنى الله في القرآن الكريم عليهم فقال في حقهم: "والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأعدلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا، ذلك الفوز العظيم"(سورة التوبة/الآية:100).وقال سبحانه: :لقد تاب الله عن النبي والمهاجرين والأنصار..." (سورة التوبة/الآية:117) وقال عز وجل: "للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا، وينصرون الله ورسوله، أولئك هم الصادقون" (سورة الحشر/الآية:8).

وقال في حق الأنصار: "والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولايجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون"(سورة الحشر/الآية:9).

وعن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح أنه قال لما سئل: أي الناس خير؟ قال قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم" وأخرج الإمام مسلم في صحيحه أنه (ﷺ) قال: "لاتسبوا أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا، ما أدرك مد أحدهم، ولانصيفه".

فالصحابة رضي الله عنهم، هم الرعيل الأول من المسلمين مدحهم الله في كتابه، وأثنى عليهم نبيه صلى الله عليه وسلم، وشهد لهم بالفضل والخيرية، تخرجوا في مدرسة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا نماذج للسلوك البشري.

أتينا بهذه المقدمة الوجيزة تمهيدا للحديث عن مثال واحد من أمثلة سلوك الصحابة ، بعنوان: عدل عمر، وأريحية العباس، رضي الله عنهما:

جاء في الحديث عن توسعة المسجد النبوي في عهد خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه لاحظ أن المسجد النبوي ضاق عن زائريه، والمصلين به، فلذلك رأى أنه لابد من توسعته، وبالفعل بدأ في عملية التوسيع للمسجد، واحتاج توسيع المسجد النبوي إلى بناء في ملك العباس بن عبد المطلب، عم النبي صلى الله عليه وسلم، وكان عمر يقول: لو زدنا في هذا المسجد حتى يبلغ الجبانة، لكان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يعمد في ذلك على إشارات صدرت عن النبي صلى الله عليه في حياته، منها مارواه السيوطي بالجامع الصغير، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لو بني هذا المسجد إلى صنعاء، لكان مسجدي"ومعنى هذا أن توسعة المسجد النبوي عبر الأزمان والعصور، كان لها سند عند القائمين بها، بالإضافة إلى أن عدد المسلمين تكاثر باستمرار، وكان لابد من مراعاة ذلك، لكن الذي حدث في عهد عمر أمير المؤمنين رضي الله عنه، أنه لما كلم العباس بن عبد المطلب في إضافة ملكه المجاور للمسجد، امتنع من ذلك، فقام عمر بنزع ميزاب . أنبوب . يصب الماء منه داخل المسجد النبوي عند ماتمطر السماء، وقال للعباس إنه يوذى الناس، فلم يقنع بذلك وطلب من الخليفة عمر أن يرد الأنبوب إلى مكانه، واتفقا أخيرا على تحكيم الصحابي الجليل أبي بن كعب، وتوجها إلى بيته، وطرقا الباب لكنه لم يبادر بالخروج إليهما وتأخر عن لقائهما نحو ساعة، ثم أذن لهما، وقال لهما: كانت جاريتي تغسل رأسي، قال ذلك اعتذارا عن التأخير، ولم يؤاخذه أحد منهما على ذلك، لكن عندما أراد عمر أن يبدأ بالكلام، قال له أبي (ﷺ): يا بن الخطاب، دع أبا الفضل يتكلم لمكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال العباس: " خطة خطها لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبنيتها معه، وماوضعت الميزاب إلا ورجلاي على عاتقي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء عمر فطرحه، وأراد إدخالها في المجسد" فقال أبي: إن عندي من هذا علما، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "أراد داود عليه السلام أن يبني بيت المقدس، وكان فيه بيت ليتيمين، فراودهما على البيع فأبيا، ثم راودهما فباعاه، ثم قاما بالغبن، فرد البيع، واشتراه منهما، ثم رداه كذلك، فاستعظم داود الثمن فأوحى الله إليه: "إن كنت تعطي من شيء هولك فأنت أعلم، وإن كنت تعطيهما من رزقنا، فاعطهما حتى يرضيا، وإن أغنى البيوت عن مظلمة، بيت هولي، وقد حرمت عليك بناءه"قال: يارب اعطه سليمان، فأعطاه سليمان عليه السلام" فقال عمر: من لي بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله؟" فخرج أبي إلى قوم من الأنصار، فأثبتوا له ذلك، فقال عمر: رضي الله عنه . أما إني لو لم أجد غيرك أخذت قولك، لكنني أحببت أن أثبت" ثم قال عمر للعباس: والله لاترد الميزاب، إلا وقدماك على عاتقي" ففعل العباس ذلك، ثم قال: "أما إذا ثبت لي فهي صدقة لله، فهدمها عمر، وأدخلها في المسجد" والضمير يعود على الخطة السالفة الذكر.

أورد هذه القصة بالزيادة التي أحدثها عمر في المسجد النبوي بالمدينة المشرفة، وما وقع بينه وبين العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما، أوردها أبو اسحاق إبراهيم الحربي (ت:285هـ) في كتابه: "المناسك وأماكن طرق الحج" ونقلها عنه العبدري في رحلته، ونقلها ابن بطوطة بعده في رحلته أيضا، ونقلها بعدهما نور الدين السمهودي، علي بن عبد الله في كتابه: وفاء الوفا، بأخبار دار المصطفى" وغيرهم.

وتطلعنا هذه القصة بالإضافة إلى الزيادة التي قام بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المسجد النبوي، على ما كان عليه الصحابة من تواضع وخلق رفيع، فالخليفة عمر، يقبل تحكيم أبي ابن كعب، الذي اعتذر عن تأخره في لقائهما بانشغاله بغسل رأسه، فقبلا عذره، دون امتعاض، ولاتأنيب، ولا غضب، وأبي يطلب من الخليفة أن يتقدم بالكلام عم رسول الله في الكلام، احتراما لقرابته من رسول الله، ولسنه، ويقبل عمر دون تردد، وعندما ذكر أبي الحديث عن بناء بيت المقدس على عهد داود وسليمان عليهما السلام، قام الخليفة عمر بواجبه، وطالب من أبي توثيق الخبر، ولم يغضب أبي، وبحث عمن يشهد له، وبعد كل هذا يقسم الخليفة عمر، ويقول للعباس: لاترد الميزاب إلا ورجلاك على عاتقي؟!

وعندما تأكد العباس من أن البناء والأرض له، وأنه ليس من حق أحد أن ينتزعها منه، قال لعمر: "إذا ثبتت لي، فهي صدقة لله عز وجل" فالعباس بعدما تأكد أن الأرض له لايستطيع أحد أن ينتزعها منه، لا خليفة، ولاغيره، تصدق بها ابتغاء وجه الله تعالى ومرضاته.

فكل واحد منهم رضي الله عنهم تصرف بتواضع وإذعان للحق، وقبوله، ولو كان مرا، ورأينا أن الخليفة وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انتظرا ساعة بباب أبي، لأنه من أدب الزيارة، أن تنتظر حتى يوذن لك، لأن صاحب البيت، قد يكون في عمل لايستطيع تركه بسرعة، كالصلاة والوضوء، ولبس الثياب... وما شابه ذلك، كالاغتسال، والحديث في الهاتف، والمرض، وعدم القدرة على القيام، أو الاستغراق في النوم. هكذا أخذنا دروسا وعبرا من هذه القصة التي تؤكد أن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، اقتبسوا من هدي النبوة، امتثالا لقول الله تعالى: "لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة"(سورة الأحزاب/الآية:21).

ومن المناسب أن نختم هذا المقال، بما قاله الحافظ ابن حجر في الإصابة: قال: "والأحاديث الواردة في فضل الصحابة كثيرة، منها ما رواه الترمذي وابن حبان من حديث عبد الله بن معقل، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الله، الله، في أصحابي، لا تتخذوهم غرضا، فمن أحبهم، فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله، فيوشك أن يأخذه" ثم قال ابن حجر: "قال أبو محمد بن حزم: الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعا، قال تعالى : "لايستوي منكم من أنفق قبل الفتح وقاتل، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا، وكلا وعد الله الحسنى"(سورة الحديد/الآية:10).

(تتمة ص1)

ثم ربط رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه والمسلمون بعده بهدف المكاثرة بأصحابه عند الحوض يوم الحساب، إن عقيدة البعث والحساب عن الأعمال خيرها وشرها عقيدة راسخة في ثوابت الدين الإسلامي، يقول الله تعالى "ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى" (الآية:60 من سورة الأنعام) وفي سورة التغابن الآية رقم 7 "قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم) ففكرة البعث والمحاسبة على تطبيق الأوامر الدينية والنواهي الإسلامية تكون جزءا من القواعد التي يومن بها المسلم ويطبقها ويحاسب على أساسها يوم القيامة، فالمسؤولية أمام الله في حياة المسلم لاتنتهي بالموت والرجوع إلى التراب، بل تجيئ حياة أخرى بعد ذلك، يقول الله تعالى في سورة البقرة الاية 73: "كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون" والآيات القرآنية في الموضوع كثيرة، وعند اللقاء بعد البعث يوجه الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين بأنه ينتظرهم على الحوض ويكاثر بهم الأمم فليكونوا عند حسن الظن.

ثم يضع رسول الله صلى الله عليه وسلم المستمعين أمام مسؤولية تبليغ الخطاب بأمانة وصدق للغير، لأن المسلمين الذين لم يتمكنوا من الحضور يسألون إخوانهم عن وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحجة الكبرى، وفي شؤون الحياة بصفة عامة، فمن بلغ التوجيه بصدق وأمانة كان له أجر عظيم عند الله، و من كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفي صدور توجيهات إسلامية في المناسبة، أو بتبليغ عكسها للغير كذبا وزورا وبهتانا، فليتبؤ مقعده، من النار، فإن الكذب حرام وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حرمة، لأنه كذب على مصدر التشريع وعلى الله عز وجل، وجزاؤه يوم القيامة جهنم. نجانا الله منها- ولكل فاعل جزاء خيرا أو شرا في الجنة أو النار، والكاذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم جزاؤه النار والخلود فيها.

وفي نهاية الفقرة السادسة يوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين إلى أن بعضهم سيستنجدون برسول الله صلى الله عليه وسلم لإنقاذهم من العذاب، فيخبرهم أن جماعة ممن كانوا يتظاهرون بالإسلام وهم به كافرون من الباطن، ويحاول أن ينالوا عفو الله ومغفرته ويقول: ياربي، إنهم أصحابي، فيجيبه الله تعالى: إنك لاتدري ماذا أحدثوا بعدك من الفسق والفجور والطغيان والتكبر على الله عز وجل والنفاق وكانوا يلبسون لباس الإسلام ليوهموا الناس بأنهم منهم وقلبهم فارغ من ذرة واحدة من الإيمان، فهؤلاء لا حاجة لك بهم ومأواهم جهنم.

وفي الفقرة السابعة من الوصايا النبوية أكد رسول الله صلى الله عليه وسلم على شيء واحد هو عدم التألي على الله، فمن ادعى صفة من صفات الله أو أمرا هو من اختصاص الله عز وجل وحده كذبه الله عزوجل وفضح أمره وكشف عن خباياه التي يحاول بها أن يكون لنفسه موقعا في حياة الناس، وهو ظالم لنفسه وللناس، والله عز وجل سيفضحه في الدنيا قبل الآخرة، لأن التألي على الله عز وجل من أكبر الذنوب والمعاصي، فما كان لله فهو له دائما وأبدا ولايمكن لبشر أن يدعيه لنفسه، وإذا فعل فالله عز وجل سيكذبه ويكشفه أمام الملأ. وإلى العدد المقبل إن شاء الله.

الوثاق

صرف المشيئة الى معلق عليه

العلامة سيدي محمد بن مبارك السجلماني

الحمد لله قوله او صرف المشيئة إلى معلق عليه، مثاله في صيغة البر، انت طالق إن دخلت الدار، إن شاء الله وفي صيغة الحنث انت طالق إن لم أدخل الدار إن شاء الله فلا ينفعه هذا الصرف، ويقع عليه الطلاق، قال الشارح تبعا للتوضيح، وهو قول ابن القاسم، وقال ابن الماجشون، واشهب ينفعه وأجاز جماعة وحكاه ابن عبد السلام عن اصبغ، وغيره وقال ابن رشد، انه الجاري على مذهب أهل السنة، وان الأول انما يجري على مذهب القدرية.

إعداد وتقديم الأستاذ : إدريس كـرم

■ لأن معنى قول القائل لامرأته أنت طالق لم أدخل الدار إن شاء الله، إذا صرف المشيئة إلى المعلق عليه هو أن امتنعت من الدخول بمشيئة الله فلا شيء علي، وقد علم في السنة أن كل واقع في الوجود بمشيئة الله تعالى فامتناعه إذن من الدخول في الوجه الأول ودخوله في الثاني بمشيئة الله، فلا يلزمه طلاق لأن ذلك هو الذي التزمه.

وأما القول بلزوم الطلاق، فمقتضاه أن الدخول وعدمه واقع على خلاف المشيئة وهو محال عند أهل السنة، هـ،

****

قلت وهذا الذي قاله أبو الوليد ابن رشد لا يصح لوجوه.

أحدها انه ليس المعنى ما ذكره، بل هو عكس المعنى، وذلك ان الشرط قيد قيد به كلام فإنه يجب أن يتبعه في الإثبات والنفي، فإن كان الكلام المقيد مثبتا، كان الشرط على وفقه، وإن كان الكلام منفيا كان الشرط على وفقه فإذا قلت أكرم ربيعة إن جاءوك وجب أن يكون الإكرام ثابتا لربيعة، على أن يقصر على الجائي منهم لا على أن يخرج الجائي منهم كما ظن أبو الوليد، وكذا إذا قلت، لا تكرم ربيعة، إن ظلموك، كان معناه ان عدم الإكرام ثابت لربيعة، على أن يقصر على الظالمين منهم، لا على أن يخرجوا من ذلك، كما يلزم أبا الوليد رحمه الله تعالى، وقد قال تعالى: "وإن كن أولات حمل.

****

فأنفقوا عليهن"، ومعناه أن الإنفاق واجب على المطلقات إن كن أولات حمل وليس معناه أن الإنفاق على المطلقات واجب، إلا إن كن أولات حمل وبالجملة فأبو الوليد في كلامه هذا توهم، ان الشرط كالاستثناء، الذي هو من النفي إثبات ومن الاثبات نفى وحينئذ يلزمه أن يكون المعنى أكرم ربيعة إن جاءوك أكرمهم، إلا أن جاءوك ولا تكرمهم إن ظلموك لا تكرمهم إلا إن ظلموك، ويكون المعنى في قوله تعالى: "وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن إلا إن كن أولات حمل" وفي قوله: فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن آتوهن أجورهن إلا ان أرضعناكم وقد علمت أن هذا واضح البطلان، وحينئذ يجب أن يكون الشرط مغاير للاستثناء، فيجب أن يكون من الإثبات إثباتا ومن النفي نفيا، ويكون معنى قولنا إن دخلت الدار ان شاء الله أنه إن دخلت الدار بمشيئة الله، فهي طالق فإن دخلها بمشيئة الله ولا تطلق عليه، وإنما تطلق عليه إن دخلها بمشيئة غير الله فإن هذا عكس لمعنى الشرط، وقلب لمقتضاه أي فإن دخلها بمشيئة الله طلقت عليه، وإن دخلها بمشيئة غير الله لم تطلق عليه.

****

وكذلك قولك أنت طالق إن لم ادخل الدار إن شاء الله معناه، ان عدم دخولي للدار بمشيئة الله، طلقت على وليس معناه ان عدم بمشيئة الله، فلا شيء علي كما قال أبو الوليد ابن رشد، فإنه مبني على جعل الشرط كالاستثناء وقد علمت ما فيه إذا فهمت هذا فلنرجع إلى حل كلامه رضي الله عنه فقوله ان مذهب ابن الماجشون، هو الجاري على مذهب أهل السنة ومذهب ابن القاسم لا يتمشى إلا على قوله القدرية قلنا ليس كذلك وسياتي بسطه.

****

الوجه الثاني قوله لأنه معنى قول القائل لامرأته أنت طالق، إن لم أدخل الدار إن شاء الله، هو ان امتنعت من الدخول بمشيئة الله تعالى فلا شيء علي، قلنا ليس كذلك بل معناه ان امتنعت من الدخول بمشيئة الله فعلي الطلاق وإنما يكون معناه ما ذكر، لو ان الشرط كالإخراج في الاستثناء حتى يكون كأنه قال إن لم أدخلها إلا بمشية الله، فأنت طالق إلا أن امتنعت بمشيئة الله، فلا شيء علي.

****

وقد سبق أن هذا مناقض للشرط قوله وكذلك قوله هي طالق، إن دخلت الدار إن شاء الله دخولي فلا شيء علي، قلنا ليس كذلك بل معناه إن شاء دخولي فعلي الطلاق، وإنما يكون معناه ما ذكر لو كان الشرط كالاستثناء، حتى يكون كأنه قال إن دخلت الدار بمشيئة الله فأنت طالق، حينئذ فإذا ادخلها بمشيئة الله فلا شيء عليه، وقد سبق أن هذا مخالف لما يقتضيه الشرط، وقد علم في السنة أن كل واقع في الوجود بمشيئة الله تعالى، وابن القاسم رضي الله عنه هو أول قائل بهذا إذا بقيت الشرط على مقتضاه، وإنما يلزمه أن لا يقول به إذا قلبنا الشرط وجعلناه كالاستثناء، لأن المعنى حينئذ إن دخلت الدار إلا بمشيئة الله فهي طالق، ولاشك أن ابن القاسم يقول بلزوم الطلاق، وما لزمه الطلاق حتى وجد الشرط الذي هو دخول الدار بغير مشيئة الله، وقد سبق أن قلب معنى الشرط لا يصح فيما بنى عليه من الإلزام لا يصح فامتناعه إذا من الدخول في الوجه الأول، وقوله في الثاني بمشيئة الله، هذا صحيح وابن القاسم قائل به، فلا يلزمه طلاق هذا ليس بصحيح، فإنه مبني على قلب معنى الشرط، وجعله كالاستثناء، وقد سبق بطلانه، قوله لأن ذلك هو الذي التزمه قلنا ليس بصحيح، وإنما يصح على قلب معنى الشرط قوله وأما القول بلزوم الطلاق بمقتضاه، أن الدخول وعدمه على خلاف المشيئة، وهو محال عند أهل السنة،

****

قلنا هذا مبني على قلب معنى الشرط وجعله كالاستثناء حتى يكون المعنى ان دخلت إلا بمشيئة الله فأنت طالق، وإن لم أدخل إلا بمشيئة الله فأنت طالق، فيكون الدخول في الصورة الأولى واقعا بغير مشيئة الله، وكذلك عدمه في الثانية، وإنما كان ذلك كذلك لأن ابن القاسم قائل بلزوم الطلاق وقد علقه على الدخول إلا بمشيئة الله فما وقع الطلاق حتى وقع المعلق عليه، الذي هو الدخول إلا بمشيئة الله، فيلزم أن يكون الدخول وقع بغير مشيئة الله لأن الدخول الكائن بمشيئة الله تعالى، لم يعلق عليه طلاقا حيث أخرجه بالاستثناء، وقد سبق بطلان قلب الشرط والله اعلم،

****

ثانيهما انك قد علمت أن معنى الشرط، لا يصح وإن إبقاه على معناه هو الحق حينئذ، فمعنى قولنا إن دخلت الدار إن شاء الله فأنت طالق، إن دخلت بمشيئة الله فهي طالق، فالشرط مركب من الدخول، وكونه بمشيئة الله، وهذا الشرط واقع عند أهل السنة، فيلزم أن يقع الجواب الذي هو الطلاق، لأن وقوع الشرط يستلزم وقوع جوابه، وقد قال ابن القاسم بلزوم الطلاق، فلزم أنه قال بوقوع الشرط المذكور، فقوله هو عين مذهب أهل السنة والجماعة لأنهم قالوا بوقوع الشرط، فلزمهم أنهم قالوا بوقوع جوابه، وابن القاسم قال بوقوع الجواب، فلزم أنه قال بوقوع الشرط، للتلازم بين الشرط والجواب فمن قال بوقوع أحدهما قال بوقوع الأخر،

****

وأما القدرية قبحهم الله فإنهم ينكرون هذا الشرط، ويقولون إن دخول العبد للدار بمشيئته لا بمشيئة الله تعالى، فلا يقع الجواب عندهم الذي هو الطلاق، فالقائل في هذه المسألة بعدم لزوم الطلاق لا يتمشى قوله إلا على مذهب القدرية، لأنه حيث قال بعدم وقوع الجواب لزم، أنه قال بعدم وقوع الشرط، فالدخول بمشيئة الله، لم يقع عنده حتى يقع جوابه الذي هو الطلاق، فظهر لأنه أي الإمام ابن رشد لو عكس في بناء المذهبين كان صوابا في الجملة، وإن كان لا يصح لما ياتي في الأمر الثالث،

****

ثالثها في بيان توجيه المذهبين السابقين إعلم أن كلا من أصل ابن القاسم، أنه إذا وقع شك في العصمة اعتبر ووقع الطلاق له ومن أصل عبد الملك أن الشك المذكور يلغى، ولا يعتبر وتستصحب العصمة، ولا يقع طلاق أصلا نقله الشارح في الكبير في قوله كلو جئت قضياك فابن القاسم نجز عليه الطلاق للشك، وابن الماجشون لم يوجب عليه طلاقا استصحاب للعصمة، وإلغاء للشك، فهذا عندي مبني القولين في هذه المسألة، وذلك أن صرف المشيئة إلى المعلق عليه، يرجع عند تحقيق النظر وتدقيقه إلى صرفها إلى الربط والسببية التي بين الشرط والجزاء، ولاشك أن السببية أمر اعتباري لا يقبل الوجود ولا العدم، فإذا وقع الدخول المعلق عليه سئل صاحب المشيئة هل شاء أن يجعله سببا في الطلاق أم لا فإن قال جعلته سببا في الطلاق وقع الطلاق، وإن قال لا أجعله سببا في الطلاق لم يقع طلاق، هذا فيمن تعلم مشيئته كزيد وأما من لا تعلم مشيئته كالجن والملك، فإن الخلل يقع في العصمة بحصول الشك فيها، إذ يحتمل أن يجعله سببا أولا يجعله، فابن القاسم يلزمه الطلاق إذا وقع الدخول وعبد الملك لا يلزمه بناء من كل واحد على أصله، فهذا توجيه المذهبين في مشيئة الجن والملك،

****

فإن قلت وهذا لا يتأتى في مشيئة الله عز وجل، لأن متعلقها موجود في الخارج أو معدوم فيه فإذا وجد علمنا وجودها، وإذا عدم علمنا انها لم تتعلق به فمشيئة الله تعالى مما يمكن اطلاعنا عليه بهذا الاعتبار.

****

قلت هذا صحيح إذا كان المتعلق موجودا في الخارج، قابلا للوجود والعدم كالأجرام والأعراض فكل ما وجد منها فهو بإرادة الله تعالى، وما لم يوجد فلم يرد الله تعالى وجوده، وأما ما لا يقبل الوجود في الخارج كالنسب، والاعتبارات ومنه الذي بين الشرط والجواب فمشيئة الله تعالى فيه لا تعلم، ولا يمكن إطلاعنا عليها إذ الإطلاع عليها إنما هو بوجود متعلقها في الخارج، وتعلقها هنا لا يقبل الوجود أصلا في الخارج، ولا يقبل العدم فيه أصلا فبعدم قبوله الوجود لم يعلم أنه تعالى أراد وجوده وبعدم قبوله للعدم ولم يعلم انه تعالى أراد العدم، وكذا يقال أيضا إذا صرف المشيئة إلى الطلاق فقط كقوله أنت طالق إن شاء الله، فإن قال إن شاء زيد سئل زيد عن مشيئة، وإن قال إن شاء والجن والملك نجز عليه عند ابن القاسم للشك وان قال ان شاء الله نجز عليه أيضا لأن متعلق المشيئة الذي هو الطلاق وحل العصمة أمر اعتباري، لا وجود له في الخارج، حتى تعلم فيه مشيئة الله عز وجل، فقول الشيخ الجنان أنه أي القول بأن مشيئته تعالى لا يمكن اطلاعنا عليها، أيضا هي قول القدرية بحدوث الإرادة ليس بصحيح، بل هو مبني على ما ذكرناه والله اعلم.

****

ثم ما ذكرناه في صرف المشيئة إلى التعليق، لا إلى المعلق عليه، وإن قولهم بصرفها إلى المعلق عليه كلام ظاهره غير مراد، هو الحق الذي لاشك فيه لأن قولنا أنت طالق، إن دخلت الدار إن شاء الله قضية شرطية، وقد علم في علم الميزان، أن الإيجاب والسلب والصدق والكذب والتقييد والاطلاق، إذا وقعت في القضية الشرطية انصرفت الى الربط واللزوم، الذي فيها، ولا تنصرف إلى أطرافها، وقولنا إن شاء الله في تلك القضية، قيد من القيود التي يجب ردها إلى الربط ولا يصح رده إلى الدخول المعلق عليه، لأنه طرف قضية شرطية، والظرف لا يرجع إليه تقييد ولا غيره من الامور السابقة، وقولهم انه راجع إلى المعلق عليه، أي من حيث التعليق فهي راجعة إلى التعليق، في الحقيقة كما قلناه، وهذا لا يخفى على من له أدنى مسكة بعلم الميزان فظهر أن على الامام ابن رشد رضي الله عنه، دركا من وجهين أحدهما ظنه أن الشرط راجع للدخول وليس كذلك، بل هو راجع للربط وثانيهما ظنه ان التقييد بالشرط كالتقييد بالاستثناء وليس كذلك، وإنما بسطت الكلام في هذه المسألة لأني ما رأيت أحدا من شيوخ المذهب، يعترض على ابن رشد رضي الله عنه، بل يسلمون كلامه ويحاولون أجوبة متكلفة والله اعلم هـ.

****

ما قيده شيخنا وقدوتنا العلامة البحر الفهامة وحيد دهره وفريد عصره معيار العلوم في كل منطوق ومفهوم سيدي أبو العباس أحمد بن مبارك السجلماسي اللمطي رضي الله عنه، وهي من بنات فكره هـ، من خط بعض تلامذته رحم الله الجميع.

في ظلال الحديث

الحديث الثاني والثلاثون والمائة:النهي عن الغش

نص الحديث:

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"قال من غش فليس منا" رواه الترمذي

■إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

تخريج الحديث:

هذا الحديث رواه الترمذي بهذا اللفظ، في كتاب البيوع، باب ما جاء في كراهية الغش (1236)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قول النبي من غشنا فليس منا (147)، بلفظ: "من غشنا فليس منا"، وأخرج أبو دادو في كتاب البيوع، باب النهي عن الغش (2995)، وابن ماجة، في سننه، كتاب التجارات، باب النهي عن الغش (2215)، وأحمد في مسنده، باقي مسند المكثرين، مسند أبي هريرة (6991).

درجة الحديث:

قال أبو عيسى الترمذي: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح، وقال السيوطي في الجامع الصغير: حديث صحيح.

سند الحديث:

هذا الحديث رواه الترمذي في سننه، وقال: حدثنا علي بن حجر أخبرنا إسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة. وذكر الحديث وهذه تعريفات موجزة بالرواة:

حدثنا علي بن حجر: هو أبو الحسن، علي بن حجر بن إياس الحافظ الكبير السعدي المروزي كان فاضلا حافظا نزل بغداد ثم تحول إلى مرو، قال النسائي ثقة مأمون حافظ وقال الخطيب: كان صادقا متقنا حافظا. وله أدب وشعر وله تصانيف منها كتاب أحكام القرآن توفي في منتصف جمادى الأولى سنة244هـ، وقد أكمل التسعين رحمه الله.

أخبرنا إسماعيل بن جعفر: هو أبو إبراهيم، إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير المدني الأنصاري الزرقي، قارئ أهل المدينة. قال أبو زرعة الرازي هو مدني ثقة وقال يحيى ابن معين: إسماعيل بن جعفر وأخوه محمد بن جعفر ثقتان وقال أحمد ابن حنبل: ما أعلم إلا خيرا وقال يحيى بن معين: هو ثقة مأمون قليل الخطأ صدوق اللسان، وذكره ابن حبان في الثقات وهو صاحب الخمسمائة حديث التي سمعها منه الناس، وكان من أهل المدينة فقدم بغداد فلم يزل بها حتى مات سنة ثمانين ومائة(180هـ) روى له الجماعة.

عن العلاء بن عبد الرحمن: هو أبو شبل العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب الحرقي المدني مولى الحرقة من جهينة. قال أبو زرعة ليس هو بأقوى مايكون وقال أبو حاتم: صالح روى عنه الثقات ولكنه أنكر من حديثه أشياء وقال النسائي: ليس به بأس وقال أبو أحمد بن عدي: وللعلاء نسخ عن أبيه عن أبي هريرة يرويها عنه الثقات وما أرى به بأسا وذكره ابن حبان في كتاب الثقات وقال محمد ابن عمر: كان ثقة كثير الحديث ثبتا وتوفي في أول خلافة أبي جعفر سنة 132هـ.

عن أبيه: عبد الرحمن بن يعقوب الجهني المدني والد العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة. روى عن ابن عباس وابن عمر وغيرهما قال عبد الرحمن بن أبي حاتم سألت أبي عنه قلت هو أوثق أو المسيب بن رافع قال: ما أقربهما وقال النسائي ليس به بأس وقال العجلي تابعي ثقة وذكره بن حبان في كتاب الثقات.

عن أبي هريرة: هو أبو هريرة الدوسي اليماني الحافظ الفقيه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، عبد الرحمن بن صخر على الأشهر كان اسمه في الجاهلية عبد شمس. قدم مهاجرا ليالي فتح خيبر حفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم الكثير وكان من أوعية العلم ومن كبار أئمة الفتوى مع الجلالة والعبادة والتواضع، قال البخاري: روى عنه ثمانمائة نفس أو أكثر، وكان من أصحاب الصفة فقيرا ذاق جوعا وفاقة ثم بعد النبي صلى الله عليه وسلم وصلح حاله وكثر ماله وكان كثير التعبد والذكر ولي إمرة المدينة. توفى سنة58 قاله جماعة رضي الله تعالى عنه، وروى في كتب الحديث 5374.

أهمية الحديث:

هذا حديث في غاية الأهمية ، فهو قاعدة نبوية عظيمة، تبرز أهم خصائص المسلم فردا، وأمة، بأسلوب الترهيب والتخويف، حيث أنه يعتبر الغاش لاينتمي بحال إلى أمة الإسلام، كيفما كان هذا الغش، ومع من كان، مسلما أم كافرا...

(ولهذا أوردت لفظ الترمذي دون لفظ مسلم لما فيه من التعميم).

المعنى العام

1. مقدمة: في هذه الأيام، من كل سنة كما هو معلوم، يمتحن أبناؤنا التلاميذ والطلبة، في مدارسهم وكلياتهم ومؤسساتهم... نسأ ل الله تعالى أن يوفقهم، ويرزقهم التوفيق والسداد، لكن ظاهرة الغش في الامتحانات أصبحت ملازمة لها، وهو سلوك مشين، وتصرف يضر بالفرد والمجتمع، فهو يعطي صورة غير مشرفة لنا، نحن المسلمين (خير أمة أخرجت للناس)، حتى أصبحنا ننعت به بين الأمم، وهذا والله من العيب والعار...

والغش له صور متعددة، وأشكالا متنوعة، ابتداء من غش الحاكم لرعيته، ومرورا بغش الأب لأهل بيته، وانتهاء بغش الخادم في عمله.

وحديثنا سوف يكون مقتصرا عن الغش في الامتحانات، والذي أصبح عملية ملازمة للامتحانات في ذهن عامة الناس.

وهذا حق، فإن ظاهرة الغش بدأت تأخذ في الانتشار، ليس على مستوى المراحل الابتدائية أو الإعدادية والثانوية، بل حتى على مستوى المرحلة الجامعية.

فكم من طالب قدم بحثا ليس له فيه إلا أن اسمه على غلافه، ولم يبذل فيه مجهودا يذكر، ناهيك عن استعمال تقنيات متجددة للغش أثناء الامتحانات الكتابية، دون أن نغفل دور الهاتف المحمول وغير ذلك مما يعلمه الممارسون لهذا العمل الدنيء.

قد يحتج بعض من هؤلاء، ويأتي بمبررات صواب في ظاهرها، لكن يراد بها باطل، وهم يعلمون.

2 أسباب الغش: إن الأسباب التي أدت إلى فشو هذه الظاهرة في أوساطنا التربوية التعليمية، متعددة، هذه بعضها على سبيل الذكر لاالحصر:

أ. ضعف الإيمان: إن القلوب إذا ملئت بالإيمان بالله لايمكن أن تقدم على الغش والتزوير، وهي تعلم أن ذلك يسخط الله ويغضبه. إن غاب الإيمان وأصبحت القلوب قاسية، تبرز هذه الظواهر الاجتماعية والأخلاقية السيئة.

ب. ضعف التربية: خاصة من قبل الوالدين أو غيرهما من المربين والأساتذة، وغياب التوجيه الديني داخل الأسرة أو المدرسة.

فقد لاتجد أبا يجلس مع ابنه لينصحه ويذكره بحرمة الغش، ويبين له أثاره وعواقبه، بل تعجب من بعض الأباء إذا قلت له ذلك أجابك مباشرة: لماذا، هل ابني غشاش؟ وإذا كان كذلك فهل هو الوحيد؟ ثم إن الظروف الراهنة تقتضي ذلك، فالمؤسسات العليا تتطلب معدلات مرتفعة...

ج. تزيين الشيطان: فالشيطان يزين لكثير من التلاميذ والطلبة أن الأسئلة سوف تكون صعبة، ولاسبيل إلى حلها والنجاح في الامتحانات إلا بالغش.

فيصرف الأوقات الطويلة في كتابة وتصغير ما كتب، واختراع الحيل والطرق للغش، ما لو بذل عشر هذا الوقت في الحفظ والإعداد بتركيز لكان من الناجحين الأوائل.

د. الكسل وضعف الشخصية: فترى كثير من الطلبة يرى زملاءه من بداية العام وهم يجدون ويحفظون ويهيئون أنفسهم للامتحان، وهو لا هم له إلا اللعب والمرح والتسكع داخل أسوار الجامعة، أو عند أبواب الثانويات والمؤسسات. فإذا ما جاءت الامتحانات النهائية تراه يطلب المساعدة، ويطلب النجاح ولو كان على ظهور الآخرين ولو كان ذلك بالغش.

إن الغش هو حيلة الكسول، وهو طريق الفاشلين. وهو دليل على ضعف الشخصية حيث أن الذي يغش لا يجد الثقة في نفسه بأنه قادر على تجاوز الامتحانات بنفسه وجهده واستذكار دروسه لوحده، ومن ثم الإجابة معتمدا على حفظه ومذاكرته.

هـ . الخوف من الرسوب: إن الخوف من الفشل والخوف من الرسوب يسبب قلقا مستمرا لكثير من الطلبة مما يجعلهم يلجؤون إلى الغش كسبيل للنجاة.

9 تعنت بعض الأساتذة: لا يمكننا أن نلوم الطلبة وحدهم، بل نجد صيغة الأسئلة نفسها، وطريقة التوجيه التي يسلكها بعض الأساتذة من الأسباب الهامة التي تجعل الطلبة يلجؤون إلى الغش، ولن أكون مخطئا إذا قلت أن تغيير النظام المتبع قد يساهم إلى حد بعيد في محاربة الظاهرة.

3 آثار الغش: إن الغش كما قلنا له أشكال متعددة، ويدخل في مجالات شتى، ولكن من أخطر أنواع الغش هو الغش في الأمور العلمية، وذلك لعظيم أثره وشره على الأمة، ومن ذلك:

أ. أنه سبب لتأخر الأمة، وعدم تقدمها وعدم رقيها، وذلك لأن الأمم لاتتقدم إلا بالعلم وبالشباب المتعلم، فإذا كان شبابها لايحصل على الشهادات العلمية إلا بالغش، فقل لي: ماذا سوف ينتج لنا هؤلاء الطلبة الغشاشون؟ وما هو الهم الذي سيحمله الواحد منهم؟ وما هو الدور الذي سيقوم به في بناء الأمة؟

لاشيء بل ستكون غاية همه، وظيفة بتلك الشهادة المزورة يكسب منها قوته ورزقه، لا هم له في تقديم شيء ينفع الأمة، أو حتى يفكر في ذلك.

ونظرة تأمل للواقع تبرز ذلك جليا، فعدد الطلاب المتخرجين في كل عام بالآلاف ولكن من منهم يخترع لنا، أو يكتشف، أو يقدم مشروعا نافعا للأمة، قلة قليلة لا تكاد تذكر.

ب. أن الغاش غدا سيتولى منصبا، أو يكون معلما وبالتالي سوف يمارس غشه للأمة، بل ربما علم طلابه الغش.

ج. أن الذي يغش سوف يرتكب عدة مخالفات. إضافة إلى جريمة الغش. منها السرقة، والخداع، والكذب، وأعظمها الاستهانة بالله، وترك الإخلاص، وترك التوكل على الله..

د. أن الوظيفة التي يحصل عليها بهذه الشهادة المزورة، أو التي حصل عليها بالغش سوف يكون راتبها حراما، وأيما جسد نبت من حرام فالنار أولى به.

4 علاج الغش: لايمكننا أن نزعم بأي حال أن مقالا أو كتابا أو خطبة أو موعظة، ستضع حدا لهذه الآفة الخطيرة، لذا كان لابد من تعاون الجميع في مقاومة هذه الظاهرة، كل بحسب استطاعته وجهده. فالأب في بيته ينصح أبناءه ويرشدهم ويحذرهم بين الحين والآخر. والمعلم والمرشد في المدرسة والجامعة كل يقوم بالوعظ والإرشاد.

بل لابد من تشكيل لجان وطنية وجهوية تدرس هذه الظاهرة وأسبابها وكيفية علاجها. وهذه بعض الأمور التي أرجو من الله أن تكون سببا في الحد من هذه الظاهرة.

إن المتأمل للحديث الذي بين أيدينا. "من غش فليس منا" يخاف على نفسه، أن يطرد، ويفقد لذة الانتماء للأمة... بل نقول لمن ينوي الإقدام على الغش: هل ترضي أن يتبرأ منك النبي صلى الله عليه وسلم. أي خير ترتجي إذا تخلى عنك الرسول صلى الله عليه وسلم وأعلن البراءة منك.

تذكر أنك مجرد أن تفكر في الغش فقد تخليت عن أهم صفة يجب أن تتحلى بها في هذا العلم. ألا وهي الإخلاص لله، وذلك لأنك بتفكيرك في الغش، يكون همك هو الدرجات والشهادة فقط، وهل تدري أي خطر في هذا؟

وتذكر أن الشهادة التي تحصل عليها والتي سوف تتوظف بها هي شهادة مزورة، وبالتالي فسوف يكون الراتب الذي تأخذه حراما. ولاتقل لي كثير هم من يفعلون ذلك، فأنت لست مثلهم، واعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه، أنه سوف يكون مالك من حرام، وسوف تغذي أبناءك بالحرام، وزوجتك بالحرام.

5 وأخيرا:

عليك أيها التلميذ /الطالب الكريم، أن تراقب الله قبل كل شيء، وأن تعلم أن روحك التي بين جنبيك بيد الله، أنفاسك التي تتردد في صدرك هي بيد الله، فاتق الله ولاتجعل الله ينظر إليك وأنت تعصيه.

تذكر أن الأمانة سوف تنصب على جنب الصراط، ولن يجوز عليه إلا من كان أمينا، والغش ينافي الأمانة كل المنافاة.

أسأل الله أن يسهل على أبنائنا، وأن يحميهم من الغش والخيانة، وأن يأخذ بنواصيهم لما يحب ويرضى، وأن يجعلهم من المخلصين الصادقين، وأن يوفقهم في امتحانات الدنيا ويوم الدين.

حديث المنابر

تفسير موجز لقوله عز وجل: «وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون...» إلى قوله تعالى " ومنها تأكلون"

■ إعداد
الأستاذ: عبد
الله الطيبي
كديرة

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي بفضله ومنه وجوده وكرمه أنزل علينا من السماء ماء مباركا يحيي لنا به الأرض بعد موتها ويجعلها ذات بهجة وجمال وخير... ويحيي به أيضا القلوب المتحجرة القاسية فيرطبها فتندى بالرحمة وتلين للكرم والسخاء..وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ولاند ولا مثيل ولا عون ولانظير ولا ظهير ولا صاحبة ولاولد... أنزل إلينا من بركات السماء ماء مباركا ينبت لنا به من بركات الأرض وخيراتها، يدر لنا به الضرع وينبت لنا به الزرع فضلا منه ونعمة، وعن سابق كرم منه جل وعلا لا عن استحقاق أو فرض منا والفضل منه وإليه من قبل ومن بعد فله الحمد والشكر كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه... وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا رسول الله خير خلق الله وأكرمهم على الله بعثه الله رحمة للعالمين مهداة منه لخلقه أجمعين.. رؤوف رحيم وأنزل معه الكتاب والحكمة ليعلمنا ويزكينا فننال الحسنيين الفوز والعزة في الدنيا، والنعيم المقيم في الآخرة.. بفضل هداه وتزكيته تعلمنا أن الماء ضرورة الوجود لكل شيء حي... بفضله وهداه تعلمنا أن نلجأ إلى الله داعين متضرعين رغبة ورهبة وخوفا وطمعا وسرا وعلنا كلما افتقدنا الماء أوشح وقل في أرضنا فنقول كما قال وندعو كما دعا في كل حين، وعلى كل حال، وقد كان عند الاستسقاء يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه فيدعو ونحن الآن ندعو بما حفظ من دعائه تبركا وتيمنا وطلبا للاستجابة من القريب المجيب: "اللهم اسق بلادك وبهائمك وانشر رحمتك وأحي بلدك الميت، اللهم اسقنا غيثا مغيثا مرينا مريعا طبقا واسعا عاجلا غير آجل نافعا غير ضار، اللهم سقيا رحمة لاسقيا عذاب ولاهدم ولاغرق ولامحق، اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الأعداء"ومن هداه وتزكيته تعلمنا أيضا أن نحب الماء وأن نقدره قدره وأن نقتصد في استعماله ولانسرف، فالله لايحب المسرفين.. ولانبذر فالمبذرين هم إخوان الشياطين.. ومن هداه وتزكيته لنا أن نحسن في استعمال الماء ونقتصد ولا نسرف ولانبذر ولو كنا عند الأنهار الجارية... وألا نلوث المياه الطاهرة المطهرة في الأبار والبحار والأنهار ولا نوسخها.. وقد وعدنا الله جل وعلا بالزيادة من نعمه وخيراته إن نحن شكرنا.. ومن الشكر الإحسان في استعمال الماء والاقتصاد في تناوله وضوءا وغسلا وشربا وطبخا وتنظيفا وسقيا وارتواء... وقد توعدنا الله وأنذرنا وهددنا بالعذاب الشديد إن نحن كفرنا النعم ولم نؤد حق شكرها ومن كفر نعمة الله في الماء وبالماء أن نريقه بإسراف وتبذير ولانقدر قيمته وفضل الله علينا به، فنستحق عذاب الله والعياذ بالله، ومن هذا العذاب أن يحبس عنا القطر والمطر والغيث لأننا لانؤدي حق شكر الله عليه هكذا علمنا رسول الله.. وهكذا زكانا رسول الله.. فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه واهتدى بهديه واستنار بنوره فشكر النعم ولم يكفرها وأدى حقها من الشكر... ونسأل الله تعالى أن يرحمنا ببركة الشاكرين منا وألا يعاقبنا بما يفعله السفهاء منا من الجاحدين والمنافقين والمسرفين والمبذرين.. أيها المؤمنون البررة الكرام، يقول رب العزة والفضل جل وعلا: "وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون، فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون...". من نعم الله التي لاتحصى التي تفضل بها ومنّ على عباده كلهم هذا المطر الذي ينزل من السحاب بتقدير حكيم من الله بحيث لايزيد عن الحاجة أو ينقص عنها فيضر ولاينفع، وأسكنه الله تعالى في الأرض وجعل له حواجز قدرها ويعلم هو جل وعلا حقيقتها تمنع من الخروج من الأرض فيضيع في فضاء الكون الفسيح... فبقدرته وحكمته وتقديره وتدبيره جل وعلا جعل هذا الماء يخلد في الأرض ويسكن ويستقر، وجعل أيضا الأرض قابلة له تتفاعل به ومعه وله فتتشربه ويكون وسيلة لغذاء ما في الأرض من حب ونوى ونبات وحيوان... والله قادر بحكمته وعلمه وتقديره وتدبيره على أن يزيل الحواجز الظاهرة والخفية التي تحجز هذا الماء عن الذهاب والانتشار في الفضاء... فإذا حدث هذا والعياذ بالله فهو من الفساد الذي ظهر في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس بكفرهم وجحودهم وعصيانهم وإسرافهم وتبذيرهم.. وها هي طبقة الأوزون في الفضاء تتمزق وتفقد التحامها.. ومن خلال هذا التمزق يقول العلماء إن الماء في حالته البخارية سيتسرب إلى الفضاء ويضيع فيه ويذهب وينتشر، لأن الأوزون من الحواجز التي تمسك ذرات الماء فلا تذهب ولاتضيع... وبفساد الناس وإسرافهم وتبذيرهم وتلويثهم لطبيعة أرض الله الطاهرة القويمة تمزق الأوزون، وفي ذلك الخطر كل الخطر.. فهل علاج هذه الظاهرة هو مجرد تقنين استعمال الماء... إنه في العودة إلى الله بشكره وحسن عبادته بطاعته فيما يأمر وينهى في العقائد والعبادات والمعاملات.. بتقواه حق ثقاته ونحافظ على قوام حياتنا من الماء وغيره، ونحفظ أنفسنا ونعم الله علينا من الزوال والاندثار والضياع ها هو سيدنا نوح عليه وعلى نبينا وسائر الأنبياء والمرسلين الصلاة والسلام يخاطب قومه منذ أقدم الدهور والعصور..وخطابه مستمر قائم موجه أيضا أيضا إلينا نحن في هذا العصر وفي كل مقبل من العصور: " استغفروا ربكم إنه كان غفارا، يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا" تقوى الله وخشيته في عبادته وطاعته، في معاملة خلقه بالإحسان، في شكره الحقيقي العملي على نعمه لا باحتكارها وابتزازها ومنع أداء حقوق الله وحقوق العباد فيها.. تقوى الله بحسن التعامل مع خلقه فيما أنعم عليهم من نعم يستحقونها جميعا لا أن يستولي عليها القوي ويمنعها عن الضعيف.. حسن التصرف في نعم الله ، وحسن توزيعها ومنها الماء، وهم شركاء فيها بحق الله وبذلك نطق رسول الله وهو الصادق المصدوق صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: "الناس شركاء في ثلاث الماء والكلأ والنار" وتقوى الله أيضا في حسن شكر الله على نعمه ومنها الماء بحسن استغلالها والاقتصاد في ذلك وعدم الاسراف والتبذير وحسن التخزين وحسن التوزيع والعدل التام في ذلك... تلك هي تقوى في تلك النعمة وذلك الشكر لله فيها... وإذا أذنبنا وعصينا نتوب ونستغفر عمليا قولا وفعلا وبذلك يزيدنا الله من فضله ونعمه فاللهم انا نستغفرك ونتوب إليك ونشكرك فأرسل السماء علينا مدرارا، وأمددنا بالأموال والبنين واجعل لنا الجنات واجعل لنا الأنهار وأغثنا الغيث النافع منك وارحمنا بالمطر العميم الكريم.. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي أنزل الماء من بركات السماء يخرج لنا به من بركات الأرض، وتفضل به وأنعم علينا وأمرنا بعدم الإسراف أو التبذير في الانتفاع بهذه النعمة السابقة الكريمة على لسان رسوله الكريم الصادق المصدوق صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ولو كنا على البحار المحيطة أو الأنهار الجارية... وقد أجمع السلف الصالح على وجوب الاقتصاد في الماء عند استعماله في الغسل أو الوضوء وإن كان الاغتراف من البحر كما قالوا. وهذه أيها المؤمنون أحاديث صحيحة عن الرسول والصحب الكرام تؤكد وجوب الاقتصاد في الماء، فقد جاء في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: "كان النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يغتسل بالصاع إلى خمسة أمداد ويتوضأ بالمد، والمديقا رب اللتر من الماء أو أكثر قليلا أما الصاع فهو يقارب الخمسة من اللترات إلى الستة... وقد سأل رجل سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "كم يكفيني من الوضوء؟ قال: مد، قال: كم يكفيني للغسل؟قال: صاع، فقال الرجل: لايكفيني. فقال ابن عباس لا أم لك قد كفى من هو خير منك رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم" رواه البزار وأحمد والطبراني في الكبير.. وقد مر رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم سيدنا سعد وهو يتوضأ، فقال: ماهذا السرف ياسعد؟ فقال سعد: وهل في الماء سرف؟ قال: نعم وإن كنت على نهر جار. وقد قال الشيخ سيد بأن الاسراف يتحقق باستعمال الماء لغير فائدة شرعية أو الزيادة على مايحقق هذه الفائدة الشرعية... وقد اعتبر النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم الزيادة على الفائدة الشرعية في استعمال الماء إساءة وتعديا وظلما، فهل يحب أحدنا ياعباد الله أن يكون مسيئا؟ هل يحب أحدنا أن يكون متعديا؟هل يحب أن يكون ظالما؟ اللهم إنا نعود بك من أن نظلم أو نظلم ونبرأ إليك من الظالمين، ونعوذ بك من أن نعتدي أو يُعتدى إلينا ونبرأ إليك من المعتدين، ونعوذ بك من الإساءة ونحتمي بحماك من أن نكون من المسيئين... اللهم إن رسولك المصطفى وهو الصادق المصدوق الذي لاينطق عن الهوى قد أكد لنا في صادق نبوءاته المعجزة بأنه سيأتي زمان على أمته يكون فيها ناس يعتدون في الطهور: "أي في الغسل والوضوء واستعمال الماء الطاهر المطهر اللهم لاتجعلنا منهم ولامعهم ...أمير المؤمنين محمد السادس والداعي إلى توفير الماء وترشيد استعماله لصالح البلاد والعباد اللهم كن له الولي والنصير والمعين والسند والظهير وأصلح له الحاشية والبطانة والوزير ويسر له في كل مايسعى إليه من خير وبر كل أمر صعب وعسير وأقر عينه بولي عهده مولاي الحسن وصنوه الرشيد وسائر أهله وولده وشعبه واجعلهم جميعا في العمل الصالح والبر والخيرمن حسناته ... اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

تقييد في التجويد

لأبي عبد الله محمد بن عبد السلام بن محمد الفاسي توفي 12 رجب 1214هـ

الحلقة الثانية

■ وقال الصيعدية من سمه النوق، وعيب على عدي بن زيد وقال الأعمش وعلي ابن دويب الهزلي، وعلى ذي الرمة، وعلى الصرماح، وعلى أيمن بن حزيم،و وعلى بن عمارة بن عقيل، وعلى جرير، وعلى الفرزدق وغيرهم، وهم من علمت، وإن كانت تخطية بعضهم في المعاني، وفي وضع بعض الألفاظ في غير موضعها، لأن جميع ذلك لحن، إذ هو ترك الصواب وصرف الكلام عن سننه الجاري عليه، ومع ذلك لم يرجعوا عن العربية في كلامهم، ولا عن الإحسان والإجادة في شعرهم، ومن هذا الوادي ضرائر الشعر لأن فيها صرفا للكلام عن سننه الجاري عليه، هذا حكم الجاهل وانظر المتعمد والظاهر أنه اسوء حالا من الجاهل، وقد يقال أنه لا يفعل في كلامه لظهور أنه كالمتلاعب أو هو هو وانظر العارف الذي لا يعمل بمقتضى علمه ويتلو القرآن غير ملق البال لما يجب عليه في تلاوته، والظاهر أنه هو والعامد سواء أو هو أشد منه، ثم يقال هل حكم الحديث والقرآن في ذلك حكم غيرهما من الكلام، فيقال أما الحديث فإن علماءه ينقلون اللحن ويضببون على موضعه، وينبهون عليه، وبعضهم يكره أداءه على الصواب، ويرد من يؤديه على وجه الصواب، ولم يقل أحد منهم فيما ورد أنه لحن ليس بحديث فيما علمت، لأن أصحابه بمراعاة المعاني أعني، بخلاف القراء، ولذلك لاتجدهم يؤدون ألفاظ الحديث بمراعاة إمالة أو فتح أو تحقيق همز أو تخفيفه، أو تغليظ حرف أو ترقيقه، وغير ذلك مما يعتبر القراء.

وأما القرآن فالمسلمون مجمعون على رد الخطأ فيه إلى الصواب وعدم مسامحة القاري بتركه على خطئه حتى يردوه إلى الصواب، والمخطأ نفسه لايسامح نفسه في إقامته على الخطإ حتى يسأل العلماء ويصحح جزءه على الوجه الذي يقرأ عليه ويأخذ به، وهذا يعتبره الناس اليوم في الجلي وأما في الخفي فلا يلقى إليه أحد بالا، واعتباره واجب كالجلي إلا للكنة أو لثفة فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

■■■

ثم اختلفوا أهل اللحن في القرآن يسلبه القرآنية قال لأن لحنه لايخرجه أن يكون قرآنا، وقالوا لأن القاري لايقصد موجب ذلك اللحن، ولايعتقد من ذلك إلا مايعتقده من لا لحن عنده هـ وهو ينظر إلى من جوز القراءة بالعجمة وهو أبو يوسف، ومحمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة فإنهما جوازها لمن لم يحسن العربية، ويروى عن أبي حنيفة أنه جوزها مطلقا، ولكن الصحيح عنه أنه رجع عن القول بذلك إلى القول بالمنع كما ذكر صاحب الاتقان في النوع الخامس والثلاثين، وقال السيد ابن أبي زيد أن اللحن بسلب القرآن القرآنية، قال لأن تلاوة القرآن باللحن وبما لايجوز ليس من القرآن الذي يحل أن يتلوه على تلك الحال، إذ كلام الله غير ملحون، فليس الذي تكلم الحال إذ كلام الله غير ملحون، فليس الذي تكلم به كلام الله هـ كما في الحطاب، وهو مقتضى كلام الفاسي وعبد الوهاب وجعل المازري الخلاف في إمامة اللحان مسببا على كون الكلمة الملحون فيها خارجة عن كونها قرآنا ولاحقة بكلام البشر أو غير خارجة عن كونها قرآنا وقد أثارااللخمي إلى الخلاف إذ قال إثر كلامه السابق ثم لو سلم أن ذلك ليس بقرآن الخ.

واعلم أنه هو وابن أبي زيد لم يفصلا بين شمل اللحن فيه جميع الألفاظ وماخص بعضها وسيأتي كلام في ذلك، وانظر هل يقال إن كان لحنه يغير المعنى سلبه القرآنية وإلا فلا.

■■■

ثم إن القول بأن اللحن يسلب القرآن القرآنية هو الجاري على قولهم في القرآن هو اللفظ المنزل على محمد للاعجاز بسورة منه المتعبد بتلاوته المنقول تواتر. هـ.

وقيل في حده مابين دفتي المصحف نقلا متواترا هـ فقد جعلوا النقل تواترا، جزء من أجزاء الحد، وبعضهم تركه من الحد، ولكن جعله شرطا، والمنقول تواترا هو اللفظ المستقيم الموافق للعربية، لأنهم شرطوا في الحرف الذي ينقل قرآنا أن يكون موافقا للعربية على معنى تحققه فيها وانحصاره إذ لم يوجد متواترا إلا كذلك، ومتى دخل اللحن انتفت العربية، وهذا ناظر إلى قول من منع القراءة بالعجمية من فارسية وغيرها، لأن قراءته كذلك تذهب اعجازه المقصود منه، انظر الاتقان في نوع آداب تلاوته، وفي نوع مرسوم الخط، ولأنه إذا انتفت العربية عن الألفاظ التي اعتراها اللحن دخلت في حيز العجمي وصارت معجمة نظير المعرب الذي ادخلته العرب من كلام العجم في كلامها، واعطته حكم كلامها لكن انظر هل يقال تقدم أن اللحن إذا وقع في بعض الكلمات لايخرج الكلام والقصيدة على العربية فلم لايقال في القرآن كذلك؟ فقد يقال إن العلماء اختلفوا في وقوع العجمي في القرآن مذهب الأكثرون إلى أنه لا يقع فيه اللفظ العجمي منهم الشافعي وابن جرير وأبو عبيديه، والقاضي أبو بكر الباقلاني وابن فارس كما في الاتقان، فعلى هذا اللفظ كلما وقعت فيه لفظة غير عربية كان غير عربي، ولا قرآن إلا بلسان عربي بين، وقد نص في الاتقان في النوع السادس والثلاثين على انتفاء قرآنية ما دخله لحن لانه حمل الاعراب في قول النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فأعربه كان له بكل حرف عشرون حسنة، ومن قرأ بغير أعراب كان له بكل حرف عشر حسنات مع معرفة معاني ألفاظه، قال وليس المراد به الإعراب المصطلح عليه عند النحات، وهو ما يقابل اللحن، قال لأن القراءة مع فقده ليس بقراءة، ولا ثواب فيها هـ.

■■■

وهو موافق لما سبق عن الشيخ ابن أبي زيد ومن ذكر معه لأن في لمحات الأنوار للغافقي عن أبي اشتة من حديث على ما ظاهره إن المراد بالاعراب مايقابل اللحن النحوي، وهو موافق لما قاله اللخمي، ففي المسألة إذا قولان، أحدهما للخمي أن اللحن لا ينفي قرآنية القرآن، ولايجعله من كلام الناس، وهذا أوسع للأمة، لأن القول ينفي القرآنية عما وقع فيه لحن يلزم بطلان صلاة كثير من المصلين أئمة كانوا أو غيرهم، كما إذا وقع اللحن في أم القرآن إذ لا صلاة لمن لم يقرأ أم القرآن ، مع أن الذي اختاره اللخمي وابن رشد صحة الإتمام باللحان، وإذا صحت صلاة المؤتم به صحت صلاته، ولاتنافي بين ما اختاره، وصرح الأيمة بأنه الراجح، وما أطبق عليه الأمة من تحريم القراءة باللحن وإيجاب التجويد فيه، لأنه غاية الأمر أن يكون كمن لبس ثوب حرير، فهو عاص بلبسه وصلاته صحيحة، فكذا من لحن يكون عاصيا بلحنه، وصلاته صحيحة.

■■■

والقول الآخر قول ابن أبي زيد ومن ذكر معه، وإذا ثبتت قرآنيته على أحد القولين الذي فيه وسع للأمة، وكان القارئ اللاحن يقصد بما يقرؤه مايقصد الذي يقرءه على مايجب أن يقرأ عليه، كان غير ءايس من رحمة الله الكريم ، وكان له أجره المعين له في الحديث، وكان ءاثما بترك التجويد.

وسواء في ذلك تلاوته في الصلاة وفي خارجها، لأن تجويده مطلوب في الحالين، وفي كل حرف قرأ منه، قال الله تعالى : "قرءانا عربيا غير ذي عوج".

■■■

هذا هو الصحيح حسبما في النشر، وقد ذكر بعضهم في أن وجوب التجويد إنما هو في القراءة المفروضة فحسب، وقال إنه خلاف غريب فقف عليه وليس هذا الخلاف الغريب هو مايقتضيه قول من خص خلاف صحة الإمامة باللحان، يكون لحنه في الفاتحة فقط لأنه لايلزم من اعتبار كون اللحن إنما يوثر في الفاتحة، أن لا يكون التجويد واجبا إلا فيها لأنه يكون واجبا عنده في جميع القرآن، إلا أنه إنما يترتب عليه حكم البطلان في الفاتحة فقط لأنها واجبة كلها وغيرها سنة، ويكفي منه اليسير والله أعلم.

فإذا كان يترك قراءته المؤدية إلى نسيانه خوفا من الوقوع في إثم يرى تجويده واشفاقا من الدخول فيما يشمله قوله صلى الله عليه وسلم « رب قاري للقرآن والقرآن يلعنه»، لأن المتلبس بحرام أي حرام كان لابد أن يلعنه القرآن إن كان متعرضا للوقوع في إثم لسانه اللازم من تركه، فهوغسل دم بدم وكان القرآن لاعنا له أيضا، وإنما الواجب على هذا تعهد القراءة بالتلاوة على تحذر ما أمكنه في السعي في تحصيل الطريق إلى تجويده حتى يخرج من الآثمين معا وليس الخروج من إثم ترك التلاوة بترك التجويد وعدم الأخذ في أسباب تحصيله، إذ كل منهما واجب.

■■■

على أنهم صرحوا في نسيان القراءة بأنه كبيرة، ولم أحفظ أنهم قالوا في ترك التجويد أنه كبيرة، إذ لا أعلم أنهم قالوا إلا أنه حرام، فالاعتناء بترك الكبيرة أولى، وكيف يترك العاقل ما أنفق في تحصيله برهة معتبرة من عمرة عجزا عن تحصيل ما يمكنه تحصيله في مدة يسيرة فلو لم يسعى في تحصيله، وأقام على قراءته بغير تجويد، كان مقيما كبيرة، لأن الاصرار على الصغيرة يصيرها كبيرة، وأما داء النعاس، فهو طاعة في هذا الزمان لأن صاحبه يريح حفظته ويريح المسلمين من شره، ويستريح هو في نفسه، إذا ما يسلم الرجل اليوم في حال يقظته ويجري على ما اقتضته قواعد الشريعة فالغيبة عن الشر إذا خير كبير وبركة في العمر، ومرضات للرب، فلينم على هذه النية ليربح أجرها والله المستعان.

وأما ترك الحروف من القرآن عند التلاوة، وخاصة حروف المد الثلاثة، فإن كان التالي التارك لها يعتقد أنها ليست من القرآن فهو كافر، لأنه أسقط حروفا من القرآن عمدا على جهة الجحد لها، وهذا هو الذي أراد عياض رحمه الله في أواخر شفائه ولا يظن بمسلم هذا الأمر، فإنهم معترفون بأنها من القرآن، ويكتبونها في ألواحهم ومصاحفهم، ويردون على تاركها فيها وهي من أفظع الخطأ عندهم فلم يبق إلا أنهم يتساهلون، ولايجرون على مقتضى علمهم بتركهم ذلك، إنما هو من باب الخطأ الحرام الذي يجب عليهم المبادرة إلى تركه، والاصرار عليه كبيرة إذ هو من اللحن الفاحش، وكذا حكم غير حروف المد من سائر حروف القرآن وكلماته فلا يجوز لتال التساهل في ترك حرف واختلاسه واختطافه أو ترك كلمة أو أكثر كما يفعله كثير ممن يعاني صناعة الأرداف، فكل ذلك حرام، ومن جملة حروف المد تطويل حروفه عند لقي الهمز أو الساكن، لأن ألف مثلا إذا لقيت الهمزة متؤخرة عنها تمد لورش مقدار ثلاث ألفات فإذا قصر عن ذلك التالي فقد أخل بحرف من القرآن والاخلال بحرف منه والاصرار على ذلك كبيرة، ولا تكفي النية بل لابد من التلفظ بجميع حروفه خلاف مايعتقده عوام الآخذين لأن القراءة هي الحروف والكلمات بعضها إلى بعض، وكذا التلاوة والحروف والكلمات أصول مجسومة بالسمع لا بالتعقل، فلا تكفي فيها النية.

■■■

ثم إن سبب هذا الطول هو أني كنت أسأل عن تفاصيل الجواب عند التعليم مشافهة فأجيب لما يحضر لي كذلك، ولو تتبعت ذلك لكان أضعف ماكتب والله تعالى أعلم هـ.

وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى هـ من نسخة قوبلت مع نسخة قوبلت مع نسخة من خط الشيخ المولف رضي الله عنه وأرضاه بمنه آمني. هـ.ج.ع:1149.

■ اعدها للنشر: ادريس كرم

البحث عن الحلال والاكتفاء به عن الحرام عبادة وتربية

■ يعده الأستاذ محمد بشاري

■ إن الحكمة المتوخاة من وراء تكليف كل مكلف بالبحث عن عينات الحلال والاستغناء بها عن عينات الحرام هي تكوين المكلف تكوينا صالحا وتربيته تربية حسنة على أساس التعود والتخلق بمبدأ مراعاة واحترام حقوق الله أولا وحقوق النفس ثانيا وحقوق الغير ثالثا، إلا أن هذا لا يتحقق للمكلف إلا بأمرين اثنين هما:

1 . عبادة الله تعالى وطاعته وتعظيمه وتقديسه بما هو أهله وذلك يكون باداء حقوقه الواجبة كاملة وباخلاص وفي إطار شريعته السمحاء وسنة نبيه الغراء حبا لله تعالى وشكرا له على ما سبغ على عباده من النعم التي لا تعد ولا تحصى.

2 . تربية النفس وتعويدها على الاستعانة بالمعبود الحق على مواجهة الفقر والضعف والاحتياج وتذليل الصعاب بالاحتماء به، والاستمداد منه تعالى في كل ميدان من ميادين الحياة وطلب ما تتيسر به الهداية ، والتوفيق والعيش الكريم والسعادة في الدارين.

وفي ذلك يقول (صلى الله عليه وسلم) لمعاذ بن جبل (رضي الله عنه) اتدري ما حق الله على العباد؟ قال الله ورسوله اعلم، قال: أن يعبدوه ولا يشرك به شيئا، قال أتدري ما حق العباد على الله؟ . يعني ما أوجبه الله تعالى على نفسه . قال الله ورسوله أعلم، قال أن لا يعذبهم...) رواه البخاري.

وما معنى العبادة؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : العبادة لغة الذل والخضوع، والعبادة المأمور بها، هي غاية الذل لله تعالى مع غاية الحب له)

من هذا التعريف للعبادة ندرك أنها تشتمل على عنصرين أساسين هما:

1 . عنصر الخضوع في حالة الانجاز لما شرعه الله تعالى لعباده من الأعمال الصالحة وأمرهم أن يلتزموا به أمرا كان أو نهيا.

2 . عنصر الحب للانجاز والإقبال عليه بالقبول والرضى لابما ينافي في ذلك من الكره والجبر عملا بمقتضى قوله تعالى (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) سورة البقرة.

إلا أن مقتضى هذا الحكم الرباني وهو (لا إكراه في الدين) يقضي به شرعا قبل الالتزام بالدين . طواعية ، وأما بعده فإن صاحبه إما أن يكون مرتدا والمرتد يعاقب على ارتداده والخروج من الدين.

وفي كتاب الله (يأيها الذين ءامنوا من يرتدد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المومنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) سورة المائدة .

واما أن يكون غير مرتد ، وهذا لا يقبل منه ان يترك واجبا من الواجبات أو يتناول محرما من المحرمات ثم يدافع عن نفسه ويحتج ويقول لا إكراه في الدين ويسمح له وإنما يلام ويعزر على ذلك وفي كتاب الله (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون والذين همو يراءون ويمنعون الماعون.) .

وبناء على ذلك فإن عبادة المنافق التي ينقصها عنصر الحب لا تعتبر عبادة كما ان من يلتزم ويحب الطاعة بقلبه ولكنه يكتفي بالحب ويترك عن كسب الحلال والاستغناء به عن الحرام مع الحب للقيام بهذا العمل ابتغاء لمرضات الله وطاعة لما يحبه ويرضاه فعلا كان أو تركا يعتبر عبادة وفي نفس الوقت يعد تربية.

لأن السعي وراء الكسب والرغبة في التملك مطلوب شرعا وفي الحديث أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (ان الله كتب عليكم السعي فاسعوا) وفي المأثور قال سيدنا عمر (رضي الله عنه) أني لاكره أن أرى أحدكم سبهللا لا في عمل دنيا ولا في عمل الاخرة) وفي كتاب الله (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله) سورةالجمعة. وفيه أيضا (علم ان سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله) سورة المزمل، والمراد بالضرب في الأرض التنقل من مكان إلى آخر سعيا وراء تحصيل الرزق والبحث عن الكسب الطيب .

وفي هذه الحالة يقول كتاب الله : (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه) سورة الملك . كل هذه الاعمال تعتبر عبادة لله وطاعة له.

لان الباحث على الكسب الطيب يكافأ على عمله ويجازى عليه بما هو أهل له سواء كان ذلك لكفاف نفسه عن السؤال وللنفقة على العيال أو للنفقة على الوالدين أو للنفقة على الجميع . ولكن بشرط الاقبال على إنجاز العمل بالحب ابتغاء لمرضات الله.

وإذا كان المكلف يعمل وهو يراعي في عمله ما هو جائز فيفعله وما هو ممنوع فيتركه ويتوقع من وراء ذلك الجزاء الاوفى وخاصة إذا أخلص العمل لله وأحسن فيه فإنه يحصل للمكلف من هذا المراعاة والتوقع للجزاء الأوفى ما يزيل من عقله التفكير في الإقدام على الجمع بين الحلال والحرام وعدم المبالاة في الفرق بينهما ويجعله لا يفكر الا في الاستغناء بالحلال على الحرام ومن هذا الجانب يتربى ضميره ويتفتح على الخير ويحبه ويعرض على الشر ويبغضه فترتفع همته ويطهر قلبه ويقوى بدنه ويسود الاستقرار والصفاء في المجتمع، سيما، إذا كان كل فرد من أفراده يبحث عن الحلال ويستغني به عن الحرام ، ويترجى من وراء ذلك الزيادة في الثواب والجزاء.

نعم قد يحصل الباحث عن الرزق الطيب من طرق أخرى غير طريق العمل والضرب في الأرض ويكون كسبا طيبا منها الارث ومنها الهدايا ومنها غير ذلك الا أن أطيب الحلال وأكرمه هو ما كان من عمل اليد، وعرق الجبين وفي الحديث عن المقداد (رضي الله عنه) ان النبي ، صلى الله عليه وسلم قال ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل بعمل يده وأن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده، وفي رواية كان لا يأكل إلا من عمل يده والحكمة من تخصيص الرسول (صلى الله عليه وسلم) داود عليه السلام بالذكر دون غيره من الأنبياء والرسل هي أنه كان غنيا وكان خليفة الله في الأرض ،مع ذلك فإنه كان يأكل من عمل يده لهذه الخصلة رغب (صلى الله عليه وسلم) أمته أن يقتدوا به ويتحلوا بسلوكه وتكون همتهم ترغب فيما يرضى الله ويحبه.

عملا بمقتضى قوله تعالى« اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم..) وقوله :(يأيها الذين ءامنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ..) سورة النساء لأن الاقتداء بالأنبياء والسلف الصالح يرفع من همة المؤمن ويقوي مركزه ويحفظ من التدني في الرغبة ويصون دينه وعرضه من الطعن فيهما حيث يلاحظ أن هممهم تسمو بهم وترتفع ولا ترضى بالدنايا وأنهم يترفعون عن كل ما فيه شبهة ويمنعون أنفسهم من التقرب إليه وفي الحديث : قال (صلى الله عليه وسلم) (الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ بدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ألا وأن لكل ملك حمى، إلا وأن حمى الله محارمه ألا وان في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب متفق عليه.

والتجنب لعينات الحرام والابتعاد منها ليس تعبديا فقط. وإنما ذلك معقول المعنى بدليل قوله تعالى: « يأيها الذين أمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون» سورة المائدة.

وعليه، فإن اجتناب عينات الحرام بعد تشخيص الداء ومعرفة خطورته من هذا النص بأنه رجس وقذارة وأنه من عمل الشيطان وليس من عمل الانسان فان الاكتفاء بعينات من الحلال والاستغناء بها عن عينات الحرام يقي الانسان المكلف من ضرر الحرام الذي يتأذى به العقل والقلب والجسد والمجتمع . ويدفع إذاه ويقضي على أثره.

لذا كان المطلوب من المومن أن يتقي حتى الشبهات ويتحفظ من عيناتها ويتركها جانبا خشية أن يقع في الحرام ويصاب بالنكسة في همته وقلبه وبدنه وفي الحياة الاجتماعية ويصبح ضميره ميتا لا يتحرج من الطعن في دينه ولا في عرضه ولا يقيم وزنا لجانب الخلق ولا لما يعرف في أوساط المجتمع عيبا ، وفي الحديث عن أبي هريرة(رضي الله عنه) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم« ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال امن الحلال أم من الحرام؟) رواه البخاري.

وهذه الظاهرة التي نص عليها الحديث واقعة في زماننا حيث يشاهد الناس يستبيحون فيه الحرام بمختلف عيناته كما يستبيحون الحلال بل تراهم يتنافسون في التكسب منه ويتفاخرون بالتكاثروفي جمعه من أبوابه وكأنه مأذون فيه شرعا ولم يرد فيه نص يمنعه ولا وعيد زجري يقضي بتأديب المكتسب منه ،، بينما الاسلام حرم تعاطي المحرمات ورغب حتى في ترك المشتبهات وقال إن الحرام رجس وانه من عمل الشيطان لامن عمل الانسان كما سبق ذلك في النص القرآني المذكور أعلاه.

وخلاصة القول فإن عمل التكسب للحلال الطيب والاستغناء به عن الحرام عبادة من حيث أن صاحب هذا العمل يؤديه طاعة لله ومحبة له ابتغاء لمرضاته ،وتربية من حيث أن صاحب العمل تسمو همته ولا يرضى بالدنايا ، ولا يفكر فيها ويتنقى قلبه من قذارة الرجس وأعمال الشيطان كما يتنقى بدنه من أثر الوباء الذي يكمن في عينات الحرام ويتضرر به البدن ويصاب بالوهن، بالإضافة إلى الاستقرار النفسي والاجتماعي الذي يسود في كل المرافق في الحياة الاجتماعية والله الموفق.

مدونة الأسرة بين الدليل العلمي والواقع التطبيقي

قراءة في الفصل 14 من المدونة

■ إعداد: الطيب لمنوار

■ لقد كان من المحتمل أن يثير قانون الأسرة في صياغته الأولية جدلا واسعا بين مجمل النخب السياسية والثقافية الممثلة لمختلف شرائح المجتمع المغربي المرتبط بدينه والمتشبث بخصوصيته ، لولا حكمة السياسة المغربية التي تداركت الأمر فاحتوت الأزمة في مهدها وأخمدت النار قبل اشتعالها وذلك بتدخلها الحاسم ومبادرتها إلى اختيار مبدأ التوفيق المحكم بين متطلبات الحداثة وثوابت الأصالة ، وهذا هو شأن السياسة الناجعة الحريصة على وحدة الأمة والمصلحة العامة . غير أن هذا الاحتواء الاستعجالي نتج عنه قانون فيه من الثغرات والغموض ما يعوق العمل القضائي على مستوى الشكل والتطبيق ويحول دون استقراره ، مما سيحيد لا محالة عن الهدف الذي جاء من أجله الدليل العملي بعد أن حسب المهتمون والممارسون أن هذا الدليل سيأتي بمثابة عصا موسى تنبجس بسببه العيون فيرتوي الظمان وتتضح الطريق إلا أن شيئا من ذلك لم يكن فكانت الكلمة كما كانت دائما للأمر الواقع، فالواقع التطبيقي هو المشرع الحقيقي الذي يصيب الهدف ويعزف على الوتر الحساس للمجتمع.

وهكذا فبعد مضي سنة كاملة على تاريخ التطبيق الفعلي لمقتضيات قانون الأسرة رقم 70.03 الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 22. 104 في 5 فبراير 2004 أثرت الإدلاء عبر مقالات متلاحقة بملاحظات تقنية ورؤى نقدية مستوحاة من التجربة الشخصية المكتسبة من الممارسة الميدانية في مجال التوثيق التابع لقسم قضاء الأسر.

ومن أجل الإلمام بمختلف جوانب الموضوع شكلا ومضمونا فضلت بداية اعتماد أسلوب القراءة النقدية لبعض نصوص المدونة التي أثارت تساؤلات وإشكالات متعددة وذلك على الشكل الآتي:

أولا : قراءة في الفصل 14، يمكن للمغاربة المقيمين في الخارج أن يبرموا عقود زواجهم وفقا للإجراءات الإدارية المحلية لبلد إقامتهم . إذا توفر الإيجاب والقبول والأهلية والولي عند الاقتضاء. وانتفت الموانع ولم ينص على إسقاط الصداق وحضره شاهدان مسلمان مع مراعاة أحكام المادة 21 بعده،

يبدو من مضمون هذا الفصل أن المشرع المغربي سوى بين سماع العدلين الإيجاب والقبول من الخطيبين داخل المغرب، وبين الشهادة مسلمين اثنين خارج المغرب ، ويحق لنا أن نتساءل عن الغاية المقصودة من هذه التسوية؟ هل الغاية منها تبسيط إجراءات توثيق زواج المغاربة المقيمين بالخارج؟ أم أنه إجراء يمهد لجعل عقد الزواج في المستقبل يقتصر على سلامة إجراءاته الإدارية دون مراعاة مواصفاته الشرعية وخصوصياته التاريخية؟ فإذا كانت صحة عقد الزواج خارج المغرب بعد استيفاء إجراءاته الإدارية تتوقف على شهادة مسلمين اثنين ، فإن صحة عقد الزواج داخل المغرب تقتصر كذلك على شهادة مسلمين فقط وهما العدلان وذلك بعد إذن قاضي الأسرة المكلف بالزواج الذي أشر على ملف مستندات الزواج وأبدى موافقته على صحة إجراءاته الإدارية.

وعليه يفهم من قراءة الفصل 14والفصل 13 من المدونة أنه لا فرق بين شهادة مسلمين اثنين خارج الوطن وشهادة عدلين داخل الوطن ، وينبني على هذه التسوية أن شهادة كل مسلم خارج الوطن ولو كان أميا تعادل شهادة العدل الموثق داخل الوطن ولو كان يحمل شهادة دراسية عليا ويزاول مهمة الإشهاد رسميا، ومن هنا يمكن أن يستنتج أن شهادة المغاربة المسلمين داخل الوطن لا تقبل باستثناء شهادة العدلين وكأن في المغرب نوعين من المسلمين:

أ . مسلمون تقبل شهادتهم وهم العدول الموثقون.

ب . مسلمون لا تقبل شهادتهم وهو المغاربة غير العدول الموثقين.

وهذا ما لا يقبله منطق سليم ولا يستسيغه عقل رزين ، فالعدول الموثقون لا يشهدون على واقعة الزواج من تلقاء أنفسهم حتى يسوى بينهم وبين شهادة العامة ، وإنما العدول منتصبون لتلقي الشهادات الشرعية بقرار من وزير العدل وهم يستشهدون من طرف قاضي الأسرة أو القاضي الشرعي ويوثقون عقود الزواج توثيقا شرعيا ورسميا في نفس الوقت، لأن عقد الزواج وإن كان رضائيا في الأصل فإنه أصبح عقدا شكليا بامتياز ، ونظرا لما يترتب عنه من الآثار يستوجب الإحكام عند إنجازه ووجوب تحديد الجهة المختصة لتوثيقه توثيقا شرعيا داخل المغرب وخارجه على حد سواء ، لذا ينبغي ألا نحمل قواعد التيسير ما لا تطيق فنتوسع في تبسيط إجراءات زواج المغاربة بالمهجر على حساب مبادئ التوثيق الشرعي الأصيل والقواعد العامة للتشريع.

ففي الوقت الذي كان ينتظر من المشرع أن يجعل من عقد الزواج عقدا رسميا مقدسا ملزما لجميع المغاربة داخل المملكة وخارجها ، نجده بهذا الاستثناء يفتح الباب أمام من يعتقد بأن الشرعية في عقد الزواج تتحدد في شهادة الشهود وقراءة الفاتحة ، علما بأن الغاية من إقرار الإسلام لمبدأ شهادة الشهود عند التعاقد هي حفظ وقائع مجلس العقد في ذهن الشهود خوفا من ضياع الحقوق والرجوع إليها عند إنكار أحد المتعاقدين. وعندما أوجب الإسلام توثيق الحقوق بالكتابة بمقتضى الآية الكريمة ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل، استغنى المسلمون على الشهادة الشفوية لأن الحجة قائمة وهي الدليل الكتابي الذي بموجبه لا يمكن لأحد المتعاقدين أن ينكر بندا من بنود الاتفاق.

لهذا كان لزاما على المشرع أن يسند بنص حاسم مهمة توثيق عقود زواج المغاربة المقيمين بالخارج إلى العدول الملحقين بالمصالح القنصلية المغربية في بلد إقامتهم ، وذلك حفاظا على حرمة وقدسية عقد الزواج الذي سماه القرآن الكريم بالميثاق الغليظ وحرصا على أحكام الشريعة من جهة، وتوحيدا لوثيقة الزواج وتفعيلا للتوثيق العدلي المغربي المتميز من جهة ثانية ، فعقد الزواج في الأصل يكون شرعيا بمجرد تلقيه من طرف العدلين المنتصبين للإشهاد ثم يصبح رسميا بعد إعلام القاضي الشرعي بذلك والخطاب عليه، وعلى هذا الأساس فحضور شاهدين مسلمين من عامة الناس واقعة الزواج لا يكفي لإعطاء رسم الزواج صفته الشرعية ، فالشهادة في حد ذاتها لم يبق لها أي دور في الإثبات مع وجود الدليل الكتابي الذي هو العقد، وإنما الصفة الشرعية لا يكتسبها عقد الزواج إلا إذا تم وفق أحكام الشرع، كانتفاء الموانع وانقضاء العدة والاستبراء وغيرها من الأحكام التي لا يعرفها عامة الناس عدا العدول الممارسين والقضاة الشرعيين المتخصصين، ولأجل هذا كان أمراء المغرب وملوكه عبر تاريخ المملكة ولا زالوا يسندون مهمة التوثيق العدلي والقضاء الشرعي للعلماء الأكفاء خريجي المؤسسات الشرعية العليا خدمة لأحكام الشريعة وصيانة لها.

وهكذا فالزواج لا يكون شرعيا بشهادة العدلين على واقعة الزواج فحسب بل بشهادتهما أمام الله وأمام المجتمع المسلم على أن الزواج تم وفق أحكام الكتاب والسنة بوصفهما عدلين متخصصين في هذا المجال لا بوصفهما شاهدين مسلمين ، فشهادة العدول على صحة الزواج كشهادة الأطباء على صحة الجسم وكشهادة المهندسين على سلامة البناء واللائحة طويلة ...

ومن هذا المنطق نتساءل بإلحاح كيف يطبق ضابط الحالة المدنية الفرنسي أو الألماني مقتضيات المادة 14 من المدونة وخاصة تلك المتعلقة بانتفاء الموانع الشرعية؟! وكيف يستوعب هذا الموظف الأجنبي غير المسلم أحكام الشريعة الواجب مراعاتها عند إبرام عقد الزواج؟!

تأملات ومخاطر

■ الأستاذ: محمد الخضر الريسوني

متى يحترم سواق السيارات قانون السير وآداب الطريق؟

أحيانا أجد نفسي في حالة قلق وغضب وأنا أبحث عن سائق سيارة عمد إلى توقيف سيارته أمام مرآب داري واختفى على الأنظار مما يسد علي إخراج سيارتي والذهاب بها لقضاء أشغالي أو لمواعيد عندي يجب احترامها ، وقد انتشرت هذه الظاهرة في أبواب المتاجر والمؤسسات والعمارات بالمدينة ولا أدري كيف يعمد أصحاب السيارات إلى توقيف سياراتهم في أماكن محظورة . ألا يعلمون بأن يكون صاحب السيارة المحبوسة على موعد هام أو أن أطفالا صغارا بانتظاره ليحملهم إلى مدرسة أو أن مريضا في مستشفى أو عيادة ينتظر زيارته، أو أنه عازم على سفر فيفوت عليه موعد سفره.

ليس يكفي لسائق سيارة أن تكون له رخصة تسمح له بقيادة سيارته، وإنما يجب أن تتوفر له رخصة أخرى تحدد له السبيل في طريقة سلوكه لتجنب إيذاء الناس، فبعض السواق يتعمدون الإسراع في الشوارع المزدحمة مع أن السائق المتمهل يمكنه تجنب العديد من الحوادث المحتملة، وبعضهم يستعمل الزمور في الأوقات المحظورة باكرا وفي ساعة متأخرة من الليل وقرب العيادات والمستشفيات ومعاهد التعليم ، ومن الملاحظات أنه كثيرا ما يقف سائقان بسياراتهما وسط الطريق يتذاكران ويتحد ثان أو يسلمان على بعضهما وقد يطول حديثهما مما يعرقل حركة السير.

إن حوادث السير زادت ضحاياها على المألوف فأصبح يطلق عليها " حرب الطرق" والسائقون لا يحترمون القانون ، وأصبحت تلك العلامات المكتوبة عليها كلمة " قف" لا تحترم، وفي شارع قريب من بيتي تنتصب تلك العلامة ، لكن لا أحد من السائقين أعارها بعض الاهتمام وأضحى وجودها عبثا ، وفي نفس الشارع الذي يحمل إسم "باتريس لومومبا" تمرق السيارات المحملة بركابها بسرعة تفوق الوصف، وكأنها تمشي في طريق خارج المنطقة الحضرية ، ومنذ يومين شاهدت حادثة سير خطيرة بسبب السرعة الفائقة. وأحيانا يعمد سائق سيارة إلى إظهار شطارته بين السياقة ومسك هاتفه المحمول ، فتراه يلصق هاتفه ليتحدث ويطيل حديثه ، وأذكر أن حوادث قاتلة تسبب فيها الهاتف المحمول، وحسنا فعل المسؤولون بتحذيرهم من استعمال الهاتف أثناء السياقة، وحسنا فعلوا عند ما ألزموا على سائق السيارة والركاب استعمال " حزام السلامة" والتهديد بالغرامة.

وأعتقد أن الغرامة على السائقين وأصحاب السيارات يجب أن تكون قاسية كما هو الشأن في البلدان الأوروبية، فهي بمثابة زجر وردع مطلوب لئلا تبقى أرواح الأبرياء بين أيدي سائقين متهورين يجهلون أو يتجاهلون آداب الطريق وقوانينه.

ذكرى زيارة جلالة الملك محمد الخامس لتطوان عيد للوحدة الترابية للمملكة

إعداد الدكتور إدريس خليفة

الحلقة الثالثة

■ وقد أفضنا والشكر لله من هذه الرحلة كسابقتها والبشائر على لساننا ويطيب لنا أن نهنئ شعب إسبانيا ورئيس دولتها الجنرال فرنكو ورجال حكومته من تكريم وحفاوة وإكبار سواء في العاصمة أو في كبريات المدن الأندلسية التي زرناها.

هذا إلى تفهمهم لمقاصدنا وإدراكهم ضرورة استقلال جميع أظرف مملكتنا وتوحيد ترابها ذلك التوحيد الذي لا يتم لنا استقلال إلا به وان حسن الاستعداد الذي لمسناه فيهم لينم على أنه استعداد أصيل نرى أنه سيسود إن شاء الله جميع مراحل المفاوضات التي ستتابع في مستقبل الأيام ، وهكذا فبعد الحصول على استقلال المغرب واسترداد سيادته بتفضل علينا المولى جل شأنه بنعمة الحصول على وحدة ترابه وبالأمس عدنا من ديار فرنسا ووجهنا عاصمة مملكتنا رباط الفتح لنزف منها إلى رعايانا بشائر الاستقلال واليوم نعود من رحلتنا من الديار الإسبانية ووجهتنا تطوان قاعدة نواحي مملكتنا في الشمال وتحت سماء هذه المدينة قصدنا أن يرن صوت الإعلان بوحدة التراب إلى رعايانا في جميع أنحاء المملكة وذلك رمزا إلى تتميم هذه الوحدة وتثبيتها في الحال.

فليهنأ رعايانا عموما وسكان هذه الناحية خصوصا بنجاح عظيم رد الأشياء إلى أصلها وطبيعتها حيث أن السلطة التشريعية أصبحت في يدنا شاملة ونافذة المفعول في شمال المغرب وجنوبه.

يضاف إلى ذلك أن السلطات الإدارية التي كان يباشرها الولاة الإسبانيون أصبحت تحت تصرفنا وفي قبضة حكومتنا وكل ذلك بمقتضى البرتوكول الذي توافقنا عليه بمدريد مع حكومة إسبانيا بتاريخ 7 أبريل الجاري.

فاللهم لك الحمد على ما أوليت ولك الشكر على ما تفضلت به وأنعمت إنك على كل شيء قدير.

وخليق بمن خاض الصعاب وأبى ضيم الحجر والانقسام أن يقدر حق التقدير هذه النعمة نعمة الاستقلال ووحدة التراب ويعمل جاهدا مخلصا للمشاركة في ترميم ما تصدع وجبر ما انكسر واسترداد ما فوته علينا عهد التقسيم من الانتفاع بالمقدرات وبمواهب وكفاءات جميع أبناء البلاد من تبادل المنافع والمصالح بين الجنوب والشمال . وبفضل ذلك يتاح لنا أن نعبئ لنهضتنا كل قوانا واستعدادتها ونحقق بين جميع عناصر السكان ذلك الانسجام الذي تقتضيه نهضة شاملة ننشدها ونعقد العزم على بلوغها بحول الله ولنا أمل فيما ستنال بلادنا من خير من فضل مواهب سكان هذه الناحية الشمالية ، تلك المواهب التي طالما برهنوا عليها بأعمال جليلة في صالح الدولة قديما وحديثا وبفضل حوزة هذه الأوطان.

والآن وقد حملنا إلى رعايانا من هذه الناحية بشرى تتويج استقلال المغرب بتحريرها واسترداد وحدتنا يسعدنا أننا نجدد بهذه الزيارة في نفس الوقت بهذه الأرجاء ونصل ما كان انقطع أمس بآخر رحلة قام بها سيدنا الجد المولى الحسن قدس الله روحه لتفقد الأحوال"

وقد استقبلت تطوان ملكها المفدى استقبالا حارا منقطع النظير بالهتاف والترحيب وأقواس النصر والأعلام ومشاعر الحبور والمهرجانات الكبيرة ، وكان المواطنون بها أمواجا بشرية متراصة، تشهد موكبا تاريخيا وحدثا جليلا ونصرا عظيما ، وكانت التفاته نحو هذه المدينة التي خصها جلالته بزيارة الوحدة باعتبارها عاصمة الوحدة الترابية للمملكة

في عيد الوحدة ويوم الوحدة يوم 28 شعبان 1375 موافق 9 أبريل 1956 م حيث جددت جماهير الشعب المغربي للملك محمد الخامس وأسرته ورفيقه في الكفاح الملك الحسن الثاني رحمهما الله وللعرش العلوي المنيف البيعة على الطاعة والولاء ومواصلة مساعي توحيد المملكة المغربية الشريفة وبنائها وتحقيق نهضتها الاقتصادية والعمرانية والاجتماعية والتمسك بهويتها الدينية والوطنية والقومية.

وقد واصل الملك محمد الخامس وابنه الملك الحسن الثاني . رحمهما الله . ومعهما الشعب المغربي مسيرات تحقيق الوحدة الترابية للمملكة ، حتى استرجع المغرب إقليم طرفاية عام 1958 وإقليم إيفني في 30 يونيو 1969م والصحراء المغربية بعد المسيرة الخضراء الظافرة التي نظمها ووجهها الملك الحسن الثاني . رحمه الله . إلى الصحراء عام 1975 بعدما أصدرت محكمة العدل الدولية قرارها التاريخي بوجود " روابط قانونية وروابط ولاء" بين الصحراء والمملكة المغربية.

والمغرب لا يزال يطالب باسترجاع سيادته على سبتة ومليلية والجزر الشاطئية التي ستحقق بحول في وقت نرجو أن لا يكون بعيدا" وما ضاع حق وراءه طالب " يقول جلالة الملك الحسن الثاني . رحمه الله . في كتاب التحدي ص: 137 .138 : " أن يكون أصدقاؤنا الاسبان يرون أن بنود معاهدة أو ترخيت المعقودة عام 1713 لا يمكن أت تكون مؤيدة لحقائق عام 1976 هذا الشيء مفهوم ، وأن يرغبوا في استعادة (جبل طارق المغتصب المستعمر) وضمه إلى العرش الاسباني باعتباره قائما فوق التراب الاسباني ، فهذه وجهة نظر إسبانية نراها منطقية للغاية ، ومن الطبيعي أن تلجأ إسبانيا إلى أعلى السلطات التي تضمن الحق الدولي ولكن لم لا يعترفون أن اعتبارنا سبتة ومليلية القائمتين فوق التراب المغربي أراضي مغربية ، لا يقل منطقية وفهما عن الحجج التي يسوقونها بشأن جبل طارق؟

هناك معادة سبق أن وقعت بمدينة أوتريخت ،، إلا أنه لا يعنينا أن نناقش بنودها ولا أن نتفحص ما إذا كان قد جرى احترامها بصورة مطلقة من قبل كل الأطراف التي تعاقدت عليها ، ونعني بها إسبانيا وانجلترا وفرنسا وهولاندا، ولكن الذي يعنينا أن نعيد ونكرر أنه ما من أحدمن ملوكنا مطلقا سبق له أن وقع معاهدة تعترف أن الأراضي المغربية التي سبق أن سميناها لم تكن جزءا متمما لا ينفصل من مملكته أما نحن من جهتنا فسنفعل كل ما في طاقتنا لكي نسوي هذا النوع من الخلافات تسوية ودية وهادفة" .

ولا ننسى ونحن نتحدث عن هذا اليوم الأغر أن إسبانيا دولة صديقة وأنها تربطها ببلادنا روابط تاريخية إنسانية وبشرية وثقافية واجتماعية عميقة وأن المغرب يريد بناء علاقة سلم وتفاهم معها على أساس من الاحترام المتبادل والسلم والتعاون وضمان مصالح البلدين بتوازن واعتدال وأن عصر الحروب ولى وجاء عصر العولمة والسلم والتعاون الدولي ومن حق إسبانيا استرجاع سيادتها على جبل طارق ومن حق المغرب استرجاع سيادته على المناطق التي لا تزال محتلة بالشمال كما صرح بذلك رئيس الدولة الإسبانية السابق الجنرال فرانكو، ومن حقنا التذكير بالآية القرآنية الكريمة التي تلاها الملك المرحوم محمد الخامس عندما زار مقر هيئة الأمم المتحدة ، وهي قوله تعالى « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عندالله أتقاكم»

فالمغرب بلد مسالم ويريد حل المنازعات بالحوار، والتفاهم والمفاوضات ، وهذا شأنه عندما اقترح أمير المؤمنين الملك الحسن الثاني تكوين خلية من أجل النظر في مصير سبتة ومليلية والجزر الشاطئية والمؤمل أن تجد هذه المبادرات تفهما من الجانب الاسباني الصديق من أجل تدشين مرحلة من التعاون القوي بين البلدين في جميع المجالات.

كما لا أنسى الإشادة برجال المقاومة والفداء الذين ضحوا بأرواحهم في سبيل الله ومن أجل تحقيق الحرية والوحدة للمغرب ، رحمهم الله وأجزل ثوابهم.

وإن تطوان لفخورة بهذه الزيارة الملكية الكريمة ، وهي تشعر بأنها تحظى بعطف ورضا أمير المؤمنين الملك محمد السادس . أعزه الله ونصره . الذي شرفنا بزياراته التي تدل على حبه لهذه المناطق الشمالية ورغبته الأكيدة في فك عزلتها وتأهيلها الاقتصادي ، وقد شرع في هذه السياسة الموفقة التي ستؤتي ثمارها بحول الله وتبلغ بالمناطق الشمالية المكانة التي تستحقها بالنظر لجهادها وصبرها ووفائها للعرش العلوي المجيد الذي ضحى في سبيل الدين والوطن، وقد أحيا بهذه الزيارات زيارة والده وجده وسلفه إليها، تذكيرا بمناقب الدولة العلوية وجهاد ملوكها وخاصة جهاد الملكين الراحلين محمد الخامس والحسن الثاني في سبيل الحرية والوحدة والكرامة.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتغمد برحماته فقيدي الإسلام والعروبة الملكين المجاهدين أمير المؤمنين محمد الخامس وابنه ورفيقه في الكفاح أمير المؤمنين الملك الحسن الثاني ، وأن يسكنهما فسيح جناته ويجعلهما في مقعد صدق مع من أنعم عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين.

ونبتهل إلى الله العلي القدير أن ينصر أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس ويديم عزه ونصره ويطيل عمره ويبقيه ذخرا وملاذا لشعبه الكريم قرير العين بأخيه صاحب السمو الملكي الأمير الجليل مولاي رشيد وسائر أفراد الأسرة الملكية الشريفة.

ونسأله أن يتغمد أرواح شهداء الاستقلال برحماته ويسكنهم فسيح جناته قريري العين بما أعد الله للأبرار من نعيم مقيم ، خالدين مخلدين في جنات عرضها السماوات والأرض وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حركة العلوم والأدب بمدينة تازة

■ د. ربيعة بنويس
-كلية الآداب والعلوم الإنسانية -القنيطرة

الحلقة الثالثة

■ كذلك عرفت مدينة تازة مجموعة من الشعراء الذين خلفوا بعض القصائد في مواضيع مختلفة ، تظهر مشاركتهم إلى جانب شعراء عصرهم بنصيب قليل أو كثير في المجال الشعري، ولا بأس أن نذكر منهم الشاعر محمد بن أحمد بن إبراهيم بن موسى الكومي التازي الذي قال عنه صاحب نثير " الجمان"

« هو خازن العلم وواعيه، الذي توفرت لديه دواعيه ، ورئيس العدالة ومبداها، ومعدن المروءة ومنتهاها، الباسط جناح الود للإخوان ، ورافع جناح العتب عمن أساء إليه بما سول له الشيطان ، ظهر له في الآداب باع أي باع ، وكان لمحاسنه جلاء ولثناياه طلاع، وقاد أعنته وأزمته وتقلد حسامه وامتطى صهوته» ، وذكر له ابن الأحمر بعض الأبيات يقول فيها ؟

الآن أتت توبة للتائب
من بعد ما اخضر النبات بشارب
كلا وقد خلع العذار خلائعا
ما العذر فيه براجع أوآيب
يامعرضا عنا ومالك أن ترى
أبد الزمان القلب فيك براغب
ومعرضا بمنابه ومتابه
ماهذه حال المنيب التائب
لو كان ذا قبل العذار فربما
أخفيت تزوير المقال الكاذب
فمتاب من ظهر النبات بخده
كمغرغر أبدى المتاب بحاجب

والملاحظ على هذه الأبيات أن صاحبها متمكن من لغته ، عارف بأساليب البلاغة وخاصة ما يتعلق منها بالجانب البديعي، حيث نجده يستعمل الجناس بنوعيه الاشتقاقي والناقص ، ثم الطباق ، بالإضافة إلى أسلوب التشبيه.

ومن شعراء مدينة تازة أيضا نذكر الشاعر الأديب الفقيه " عبد الرحمن بن الأشقر التازي" الذي قال عنه صاحب نثير فرائد الجمان » ومنهم الفقيه الكاتب أبو زيد عبد الرحمن بن إبراهيم بن الأشقرالتازي الدار، أدركته ورأيته.. رشح للعلامة مع من وسم لها بالعلامة لشروطها الموفرة فيه، ومن القدرة في أسبابها والترفيه ، من أدب يقتنى وكتب به يعتنى إلى صباحة الشيبة وجميل الحضور والغيبة .. وكتب للملوك من مرين في دار الملك ، وانخرط بين صدورها واسطة ذلك السلك.

ومن شعر عبد الرحمان بن الأشقر، السابق الذكر أعلاه ، قوله يمدح أمير المؤمنين المنصور بالله أبي الحسن المريني ملك المغرب حينذاك:

نوالك مزن للغمائم باعث
ووجهك خدن للمنيرين ثالث
وبابك كهف للأنام وملجأ
إذا ناب خطب أو تفاقم حادث
ملأت بلاد الشرق عدلا وطهرت
علاك بها ما دنسته الخبائث
فقمت بأمر الله مجتهدا ولم
تصدك من أهل النجوم الأحادث
فكان الذي قالوه إفكا وقد مضى
وسعيك مشكور وسعدك لابث
فهنأت الدنيا حولك تونسا
وأنك منها للبسيطة وارث
وقد عاد ما عودت من نصرك الذي
تعادى على العادين منه الكوارث
توافيك أقيال الأقاليم خضعا
فكلهم عبد ببابك ماكث

ونلاحظ أن هذا المدح لا يختلف عما امتدح به الملوك والخلفاء في مختلف العصور من وصف بالجود والكرم والعدل والشجاعة ، وفي هذه الأبيات يذكر لنا الشاعر حادث غزو أبي الحسن المريني تونس دون أن يصغي للمنجمين الذين حاولوا أن يثنوه عنها، وذلك في قوله:

فقمت بأمر الله مجتهدا ولم
تصدك من أهل النجوم الأحادث
فكان الذي قالوه إفكا وقد مضى
وسعيك مشكور وسعدك لابث

الذي لابد وأنه نظر في معناه إلى قول أبي تمام في فتح عمورية والتي مطلعها
السيف أصدق إنباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب
حيث قال:

والعلم في شهب الأرماح لامعة
بين الخميسين لا في السبعة الشهب
أين الرواية بل أين النجوم وما
صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرصا وأحاديثا ملفقة
ليست بنبع إذا عدت ولا غرب

الشيء الذي يؤكد تأثر المغاربة بالشعر المشرقي ومحاولة النظم على منواله، وإن كان الشعر المغربي وخاصة في الفترة المدروسة قد سيطر عليه الاتجاه الديني الفقهي ، باستثناء بعض القصائد التي نظمت في موضوعات مختلفة، منها ما تعلق بوصف المجالس والشراب ومنها ما اختص بوصف الطبيعة ، ومنها ما قيل في الغزل وغيرها من الأغراض ، والتي أظهر فيها شعراؤها قدرة عالية على النظم الجيد، ولعل في الأمثلة التي أوردناها ونوردها لشعراء تازة خير دليل على ذلك.

كي لا تغرق السفينة

■ إعداد: الدكتورة لطيفة أحادوش

■ لقد اهتم الإسلام بتكوين مجتمع بشري بين أفراده القيم الدينية والمبادئ السامية، التي تجعل منه مجتمعا متماسكا يسوده التعاون والإخاء والمحبة.

وتناول الإسلام بناء هذا المجتمع ببناء الفرد المسلم وبناء الأسرة المسلمة ، وعلاقة الأفراد بعضهم ببعض داخل مجتمعهم.

وإذا انحرف بعض أفراد المجتمع وجب على الصالحين منهم ردهم إلى الطريق السوي بالوسيلة المناسبة ، ويعتبر السكوت عن الانحراف الذي يهدد أمن المجتمع واستقراره سكوت عن المنكر الذي وجب تغييره ، كما أنه تقاعس عن واجب الأمر بالمعروف.

ومن الأحاديث التي تتجلى فيها مغبة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الحديث الذي رواه النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله وسلم حين قال:" مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا"

إن المجتمع مكون من أفراد وجماعات يشتركون جميعا في بناء لبناته ومسؤولون على الحفاظ عليه وعلى مقوماته وصيانة نظامه ، وكل فرد في المجتمع يتمتع بنصيب من الحرية مقررة له ويستطيع استخدامها وفق حدود لا ينبغي أن يتجاوزها.

فلا يحق لأي شخص أن يتذرع بحريته الشخصية ليقوم بأفعال قد يختل بها نظام المجتمع ، فيتضرر هو وباقي الأفراد بذلك.

وهذا الحديث قد ضرب فيه النبي صلى الله عليه وسلم مثلا رائعا للإنسان المنكر لما نهى الله عنه، القائم في دفعها وإزالتها ، وللإنسان المرتكب لها. فقد شبههم . عليه الصلاة والسلام. بقوم اقترعوا على سفينة ، فأخذ كل واحد نصيبه منها ، فمنهم من خرج سهمه في الطابق العلوي ، وهو موقع جيد قريب من الماء ومنهم من خرج سهمه في الطابق السفلي ، وهؤلاء يكونون بعيدين عن الماء بحيث إذا أرادوه لزم عليهم المرور على من فوقهم لأخذ ما يحتاجونه منه.

ولكن الصعود إلى الطابق العلوي من السفينة وتأذي قومه بالمرور عليهم في كل حين ، جعل من في أسفل السفينة يقترحون فكرة تضع حدا لهذا التذمر وهذه المعاناة. لقد اقترحوا ثقب السفينة في نصيبهم لاستخراج الماء بسهولة دون أن يؤذوا أحدا.

فإن قبل القوم الفكرة وتركوهم يخرقون السفينة هلكوا جميعا . أما إذا واجه القوم هؤلاء المخربين وأوقفوهم عند حدهم ، كانت النجاة ، وعاد السلام والاستقرار إلى السفينة.

وهكذا نفهم من هذا التشبيه الهادف إلى تقرير معنى في غاية الأهمية أن الصالحين من أفراد المجتمع لابد وأن يقوموا بردع المفسدين ويصدوهم عن القيام بأفعالهم المخالفة لشرع الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ،. فإن لم يأخذوا على أيديهم ، سينهار المجتمع ويتقوض بنيانه، ولا ينجو من دماره أحد.

فالمسؤولية إذا منوطة بالجميع ، ولابد من التعاون لمواجهة التخريب والقضاء عليه قبل أن تعم الفوضى ويعم البلاء. فلابد لركاب السفينة أن يواجهوا كل ما من شأنه أن يخرقها ويتسبب في غرقها.

فضل حفظ القرآن الكريم ومنزلة حملته

إعداد الأستاذ: عبد الرحمن شتور

فضل القرآن الكريم: نتوقف عند الحديث الذي رواه الإمام مسلم في باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه رقم 815 « لاحسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به إناء الليل....»

وقد وضع الحافظ بن حجر في شرحه للحديث مقصد البخاري من إيراد هذا الحديث تحت عنوان " اغتباط صاحب القرآن » فقال:

إن مراد البخاري بأن الحديث لما كان دالا على أن غير صاحب القرآن يغبط صاحب القرآن بما اعطيه من العمل بالقرآن ، فاغتباط صاحب القرآن بعمل نفسه أولى إذا سمع هذه البشارة الواردة في حديث الصادق صلى الله عليه وسلم .

قال الإمام ابن كثير:

مضمون هذا الحديث أن صاحب القرآن في غبطة، وهي حسن الحال ، فينبغي أن يكون شديد الاغتباط بما هو فيه ، ويستحب تغبيطه بذلك ، أي تمني مثل ماهو فيه من النعمة ، وهذا بخلاف الحسد المذموم وهي تمني زوال نعمة المحسود » (فضائل القرآن لابن كثير) فهنيئا لك ياحامل القرآن بما أكرمك الله ووفقك إليه من هذه النعمة العظيمة ، وبما حويته في صدرك من كلام الله سبحانه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأبشر بما أعد الله لك من الدرجات العلا في الجنة ترتقي فيها بمقدار ما معك من القرآن العظيم.

وأخرج الترميذي وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول « ألم» حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف وميم حرف» رواه الترمذي برقم2910.

فلو أخذت المصحف بيدك ثم قرأت خمس دقائق ثم حسبت . إن شئت . عدد الأحرف وضربتها بعشر حسنات إلى سبع مائة ضعف ، ثم نظرت إلى ذلك الرقم الهائل للحسنات التي ستظفر بها إن شاء الله تعالى في هذا الزمن اليسير مع إخلاص النية ، ترى لو استغل كل منا وقت فراغه لقراءة القرآن وتدبره فلك أن تتأمل كم من الحسنات سننالها؟

روى الإمام أحمد والحاكم وغيره بسند رجاله رجال الصحيح عن عبد الله بن بريك عن أبيه قال:« إن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول : ما أعرفك فيقول : أنا صاحبك القرآن ، أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلك، وان كل تاجر من وراء تجارته وأنا لك اليوم وراء كل تجارة ، قال : فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ، ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا ، فيقولون : بم كسينا هذه؟ فيقال لهما: بأخذ ولدكما القرآن ، ثم يقال له: إقرأ واصعد في درج وغرفها ، فهو في صعود مادام يقرأ هذا كان أو ترتيلا ، المسند 384/5.

وفي سياق هذا الحديث يقول الإمام الشاطبي الرعيني الأندلسي المتوفى سنة 590 رحمه الله ، يقول في منظومته« حرز الأماني ووجه التهاني»:

وإن كتاب الله أوثق شافع
وأغنى غناء واهبا متفضلا
وخير جليس لا يمل حديثه
وترداده يزداد فيه تجملا
وحيث الفتى يرتاع في ظلماته
من القبر يلقاه سنا متهللا
هناك يهنيه مقيلا وروضة
ومن أجله في ذروة العز يجتلا
يناشد في إرضائه لحبيبه
وأجدر به سؤلا إليه موصلا
فيا أيها القارى به متمسكا
مجلا له في كل حال مبجلا
هنيئا مرينا والداك عليهما
ملابس أنوار من التاج والحلا
فما ظنكم بالنجل عند جزائه
أولئك أهل الله والصفوة الملا
أولوا البر والإحسان والصبر والتقى
حلاهم بها جاء القرآن مفصلا

إن من نعم الله تعالى على هذه البلاد ان ملئت بالمدارس العتيقة في البوادي وبدور القرآن في المدن لتحفيظ القرآن الكريم وتعليمه، فإلى كل أب انشغل بالدنيا عن أبنائه وبناته، وإلى كل أم جعلت متابعة الأزياء الجديدة شغلها الشاغل ، أن ينتبهوا من الغفلة ويستيقيظوا من هذه الغفوة تجاه كتاب الله تعالى وليستغلوا الفرص المتاحة من تلكم المدارس والدور فخير ما تقدمه لنفسك ولناشئتك:

تعليمهم كتاب الله تعالى وتنشئتهم عليه، كل قارئ للقرآن يرجو الانتفاع بتلاوته، والاستفادة منه ، لعل الله تعالى أن يكتبه من أهله ، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى « إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه ، وألق سمعك واحضر حضور من يخاطبه به من يتكلم به منه إليه ، فإنه خطاب منه إليك على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تعالى:« إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، سورة ق / الآية 37. ومما يعين على التدبر والخشوع والانتفاع بالقرآن الكريم : حضور القلب وأن يستحضر المسلم حال القراءة أن الله سبحانه وتعالى يخاطبه وحده بهذا القرآن ، ومنه: ألا يستعجل القارئ ويسرع في القراءة ، فقد ورد التحذير من ذلك ، ومن المهم كذلك : الوقوف عند آيات الوعد والوعيد ، ليسأل الله عند الوعد، ويستعيذ به عند الوعيد ويقف عند الأوامر ليمتثلها ، والزواجر لينزجر عنها ، والقصص ليتأمل فيها ويأخذ العبرة.

نكتفي بهذا القدر في هذا الموضوع والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

كتاب صدر

■ الحاج الحسن بناني

من إصدارات المجلس العلمي المحلي بالدار البيضاء ، ومن سلسلة الأبحاث والدراسات، كتاب « خطبة الجمعة ، المنهج والمقاصد ، في ضوء الكتاب والسنة، وهو من ثمرات تنظيم الهيكل الديني المبارك للمجالس العلمية، ومما يدخل في نطاق نشاطاتها ، نتيجة الجهود المكثفة التي يبذلها العلماء بعد رد الاعتبار لمجالسهم ، وفقا لما تقتضيه مستجدات العصر وتطوراته ، وهو كتاب مفيد من بين ما تصدره المجالس، من كتب ونشرات، وما تعقده من ندوات ، وما يلقى بتنظيمها من محاضرات ، مما يعين على نشر الوعي الديني ، ويشحذ العزائم ، ويوقظ الهمم، فقد بذل مؤلفه السيد الرئيس. جزاه الله خيرا. جهودا في إخراجه في حلة قشيبة ، كما عمل ما في وسعه لاستنطاق أمهات الكتب ، فجاء الكتاب جامعا لعناصر الموضوع ، شاملا لما يحتاج إليه المعني بالخطبة والمثقف بصفة عامة مبينا أن خطبة الجمعة مسؤولية وأمانة وتربية ، فهي وسيلة من وسائل التوجيه والإرشاد ، وتقدير الهموم اليومية للمواطنين ، ومن ثم فمهمة الخطيب خطيرة وجسيمة ، يسأل عنها بين يدي الله تعالى ، ثم يتسائل المؤلف عما يمكن أن يقارن الخطبة من حيث تأثيرها في النفوس، ومن حيث تكوين المؤمن المطمئن ، فالمنهج القويم الهادف، هو الذي يستفاد من سيرة نبينا قدوتنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم من منهج السلف الصالح من بعده، ثم يسترسل السيد المؤلف في تحليلاته ومعالجاته لكل ما يعرض من مشاكل ومواقف، في مباحثه التالية المعنونة بما يلي : الدائرة الخضراء ، المحجة البيضاء، خصائص خطبة الجمعة ، الأبعاد التربوية لخطبة الجمعة، الأبعاد الاجتماعية لخطبة الجمعة ، الكلمة الأخيرة، وفي كل مبحث من هذه المباحث محاور تطرق لها بإسهاب ، مما أعطى للكتاب صفة الشمولية والعمق ، ثم يأتي بخطب منبرية نموذجية مفتتحة بخطبة نبوية، يمكن أن تضئ الطريق أمام الخطيب في مهمته ، بأسلوب سهل جذاب ، ومهما نحاول أن نخلص ما في الكتاب ، فالقلم يعجز ، ولنترك ذلك للقارئ الكريم ، وشكر الله للمؤلف عمله.

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1115
السنة39
الجمعة 4 ربيع الثاني 1426 هـ
الموافق 13 ماي 2005 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين
لارباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال - الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة

العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

هدي الإسلام في العلاقات الأسرية

إعداد الأستاذ: لحسن أشفري

■ لقد حظيت الأسرة في الإسلام بعناية كبيرة، لأنها أساس المجتمع الصالح المترابط، وأكدت تعاليم الإسلام روابط متينة وكريمة بين أفراد الأسرة، من شأنها أن توثق عرى المودة والمحبة والألفة بينهم، كوحدة تنسجم مع غيرها في مجتمع هانئ سعيد، أسس على رضوان الله بين الأسرة الصغيرة والكبيرة، والمجتمع بعدئذ بعامة، وليس ذلك بغريب على أمة نزل فيها القرآن الكريم، الذي دعا إلى الشفقة والرحمة والمحبة، بدءا بتكوين نواة الأسرة الصغيرة، فقال جل من قائل: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) سورة الروم/ الآية:20.

فالعلاقة بين الزوج وزوجه: مودة ورحمة، وسكن نفسي قبل أن يكون جسديا، وتآلفا قوامه المحبة والإيثار والتضحية وإنكار الذات، والمشاركة في حمل المسؤولية عن رضى واقتناع.

والعلاقة بين الآباء والأبناء: محبة وبذل وعطاء، ورعاية متبادلة، وتقدير واحترام عميقان.

والعلاقة بين الأسرة في مجموعها وبين الأقارب في تنوع درجاتهم: علاقة مودة شاملة، ورحمة فعلية، وتعاون على البر والتقوى، وتناصح في الخير، كجزء من أمة لها رسالة ربانية، ومنهج يضمها وتدعو إليه على هدى وبصيرة، وتأخذ بحجز بعضها بغية اتقاء الإثم والشر والعدوان.

بينما الأسرة في الغرب والشرق على السواء تفرقت وتشتت، فلا رابط إلا رباط المشاركة المعيشية، أو العاطفة الوقتية، أو النفع والمصلحة الآنية والعاجلة. حتى إذا ما شب الصغير ترك حبله على غاربه أو على غاربها، وأصبح له الحق في الانفصال بعيدا عن والديه، إذا اشتكى من سبب وجيه أو غير وجيه، وقد يهيم على وجهه طوال حياته بعد ذلك، كحيوان ضال لا أحد يعنى بشأنه، ولايعرف وجهة نفسه، وغاية خلقه.

وإذا ما شاب الأب والأم، فإنهما يجدان برد الوحدة فوق برودة الشيخوخة لايؤنسهما سوى كلابهما أو قططهما، فإذا ما بقي أحدهما على انفراد، ففي بيت العجزة ملجأ له، ترافقه الهموم والوحدة والوحشة، بسبب الحرمان من دفء الحنان، وفيض العواطف، وجفاف الشعور، قد يزورهم الابن أو البنت، وقد تنوب الرسالة أو الزهرة عن الزيارة، ومن ثم اخترعوا عيد الأم، وعيد الأسرة، ومايغني ذلك عن طبيعة الحنان وصادق الشعور فتيلا.

أما نظام الإسلام فهو الرحمة المهداة، والهدى المنتقى والمختار، والنظام الإلهي، وهذه إطلالة على هديه في العلاقات الأسرية، وإشراقة من شعاعه وشرائعه، وإلمامة بما يتعلق بها.

لا شك أن ثمرة الزواج في الإسلام تمتد عرضا باتساع دائرة النسب والقرابة، وخلفا، وذكرا بإنجاب الذرية، ودنيا، بفائدة المجتمع وقوته، وآخرة بالرحمة واستمرار الثواب ومدده، وعباد الرحمان يدعون ربهم :(ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما)سورة الفرقان/الآية:74، وامتن الله علينا سبحانه بالبنين في قوله تعالى: (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات)سورة النحل/الآية:72.

ويبين الرسول صلى الله عليه وسلم شأن مكانة البنين في الحياة الدنيا بقوله: (تناكحوا تناسلوا فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة)، وقوله صلى الله عليه وسلم (سوداء ولود خير من حسناء عقيم)، كما نوه صلى الله عليه وسلم بشأن مكانتهم في الدنيا والآخرة بقوله فيما يرويه عن أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أنفق على نفسه نفقة يستعف بها فهي صدقة، ومن أنفق على امرأته وولده، وأهل بيته فهي صدقة).

وهم رحمة لوالديهم وشفعاء من دخول الجنة إن ماتوا صغارا، فيروي معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ما من مسلمين يتوفى لهما ثلاثة من الولد إلا ادخلهما الله الجنة بفضل رحمته إياهم. قالوا يا رسول الله : أو اثنان؟قال أو اثنان، قالوا: أو واحد؟ قال: أو واحد. ثم قال: والذي نفسي بيده، إن السقط ليجر أمه بسريره إلى الجنة إذا احتسبته).

فالمولود ذكر لأبيه في الإسلام، ولبنة من لبنات المجتمع تزيد في بنائه وقوة تماسكه وعزته وبقائه، وذلك راجع إلى كثرة النسل القوي، الموجه لما فيه الخير بالتصنيع والتوجيه، وحسن تربية الأولاد لعمارة الكون، ورقي الحياة ونفع الإنسانية. ومن هنا قال بعض الشيوخ: الوالد له وحده حق الولد، وقال آخرون: بل هو حق الوالدين معا. ورأي ثالث يرى: أن الولد حق الوالدين والمجتمع والأمة معا، على خلاف فيمن هو صاحب الحق الأقوى فيه: أهما الوالدان، أم الأمة؟، والرأي الأخير. في تقديري. هو الأولى والأفضل، لتحقيق عزة الأمة ورفاهيتها ومكاثره الرسول صلى الله عليه وسلم ومباهاته بنا للأمم يوم القيامة، حين تكون الكثرة قوية ذكية فعالة بناءة خيرة، هذا هي كثيرة هزيلة لا يؤبه لها، ولايحترم الآخرون وجودها، تؤكل ولا تأكل، وتخاف ولاتخيف، وتستهلك ولا تنتج، ويعبث بمقدراتها ومقرارتها، ولاتملك من أمر نفسها شيئا، فهي قاصرة عاجزة، لم تذق طعم الرشد الإنساني، حيث تمردت على الهدي الرباني، يؤيد هذا ماصح في دلائل النبوة عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: (توشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا: أمن قلة نحن يومئذ؟قال لا، بل أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن. قال قائل: وما الوهن يارسول الله؟قال: حب الدنيا وكراهية الموت).

فحين تتملك الكثرة عوامل الضعف في الجانب الخُلقي والخِلقي، وتستكين لذلك وترضى به، فلا خير في حياتها ولا في كثرتها، ما لم ترجع إلى رشدها الإنساني كخير أمة أخرجت للناس، وذلك إنما يكون حيث تكون الحياة الإنسانية السوية الإسلامية.

وقد كانت عناية الإسلام بالأسرة قبل تكوينها، تربية واختيارا، وكذلك تعظم هذه العناية بعد تكوينها، وبخاصة بعد إنجاب الذرية، ليمتد خط العناية بها دنيا وأخرى، وليكون لها الحظ الوفير من السعادة.

ونجد هذه الرعاية تتجسد بميلاد الأبناء: فالفرح بميلاد الأنثى كالذكر سواء بسواء في هدي الإسلام، للتنفير من عادات بعض الجاهليين، حين كان يكتئب بميلاد الأنثى، ويظل وجهه مسودا وهو كظيم، من سوء مابشر به من ميلادها، وتتملكه الحيرة وتتناوشه الحتوف: أيمسكها على هون؟ أم يندها ويدسها حية في التراب؟ وسيسأل عن طيشه في الآخرة، وصدق الله العظيم إذ يقول: (وإذا الموؤودة سئلت بأي ذنب قتلت). وقد ذكر الخالق في معرض قدرته ومشيئته وعلمه بعض مظاهر إرادته تعالى حين قال: (لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير). ولعل البدء في هذه الآية بالإناث، مما يشفع لسند حديث رسولنا صلى الله عليه وسلم حين يقول: (من يمن المرأة تبكيرها بالأنثى)، ثم إن من أحسن تربية البنات كان مع النبي في الجنة بنص الحديث: (من كان له ثلاث أخوات أو ابنتان أو اختان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن دخل الجنة).

ويتبع هذه الرعاية استقبال المولود باسم الله حتى لايقربه الشيطان حين يستهل صارخا، ثم الاذان في أذنه اليمنى والإقامة في اليسرى، وتسميته بأحسن الأسماء وأحبها إلى الله، لقوله صلى الله عليه وسلم: (أحب الأسماء إلى الله: عبد الله وعبد الرحمان، وأصدقها: الحارث وهمام، وأقبحها: حرب ومرة).

ويستتبع ذلك العقيقة عن المولود، لأنه مرهون بعقيقته، تذبح في اليوم السابع، ويحلق رأسه أو يقصر، ويتصدق عنه تعبيرا عن الشكر والفرح، وحمدا لله سبحانه وتعالى أن جعل من صلبه من يوحد الله، فقد روى أصحاب السنن عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله: (كل غلام مرتهن بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه ويسمى فيه ويحلق رأسه).

ورضاع الطفل أمر واجب شرعا وطبعا على الوالدين حين تكون الحياة بينهما طبيعية ومواتية، وإلا فالأم ترضع ولدها بنفقة الأب ولو مطلقة، فإن حال حائل فوجب استئجار من يقوم بإرضاعه، وعلى المولود له أجر المرضع، ولايضيع في زحمة خلافات الوالدين، ولاتمنعهما الأثرة من العناية به لضعفه.

ولزوم الآباء أبناءهم للتربية والتوجيه والحنان والتقويم أمر يوجبه الإسلام لسلامة نظام الأسرة المسلمة، فيروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: (اكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم) ، وقوله صلى الله عليه وسلم: (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع). وللأم ولاية في هذا الجانب، ذلك أن أم مريم نذرت ما في بطنها محررا لعبادة الله، بل وجعل الفقهاء هذا الحق للعصبات وذوي الرحم، ضمانا للصلاح والصلاحية، تقويما وتعزيزا، وبخاصة فيما قبل البلوغ، فهو أمر مفروض، وبعد ذلك أمر مطلوب، إذا لم يكن الولد مأمونا على نفسه، وغاية الأمر من ذلك اختيار الأصلح والصلاح للمولود، وتمام العناية به.

مما سلف نذكر عظمة الإسلام في حسن توجيهه لهذه الرعاية نحو الأبناء لتسير إلى غايتها المرجوة، من رضاء الوالدين ومتعتهما بالأولاد من جانب، وحسن تربية الأبناء وتوجيههم من الجانب الآخر، بلا إفراط ولا تفريط.

وأمر العلاقة الأسرية في الإسلام بين الوالدين والأولاد إنما يقوم من الجانبين على الرحمة، والمودة والحب والإعزاز والإيثار، وحتى تكون العلاقة طيبة، والسلوم سويا، نذكر ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم (كان يخطب إذ جاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فحملها فوضعهما بين يديه ما ثم قال (صدق الله إنما أموالكم وأولادكم فتنة، نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي فرفعتهما)، وما رواه عبد الله بن شداد عن النبي صلى الله عليه وسلم (ثم خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في إحدى صلاتي العشاء وهو حامل حسنا أو حسينا فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه ثم كبر للصلاة فصلى فسجد بين ظهراني صلاته سجدة أطالها قال أبي فرفعت رأسي وإذا الصبي على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساجد فرجعت إلى سجودي فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال الناس يارسول الله: إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر أو أنه يوحى إليك، قال (كل ذلك لم يكن ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته). ورأى الأقرع بن حابس النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الحسن، فقال يارسول الله: إن لي عشرة من الولد ماقبلت واحدا منه، فقال عليه السلام: (إن من لايرحم لايرحم).

فالحب والرحمة والمودة هنا عوامل توجيه وتربية، لاعوامل إفساد وتدليل، فالرسول صلى الله عليه وسلم رأى الحسن. وهو طفل. وقد أخذ تمرة من تمر الصدقة وجعلها في فيه، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: (كخ كخ، ارم بها، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة).

ولأهمية التربية والتأديب نجد قدوتنا محمدا صلى الله عليه وسلم يفضل تأديب الولد على الصدقة فيقول: (لأن يؤدب أحدكم ولده خير له من أن يتصدق بصاع)، كما أخبرنا عمر بن أبي سلمة أنه كان غلاما في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت يده تطيش في الصحفة (أي يأكل من هنا وهناك)، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : (ياغلام سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك) "فما زالت تلك طعمتي بعد".

ويحذر الرسول صلى الله عليه وسلم من التفريط في حق الأبناء وفاء بالمسؤولية حيث يقول: "إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته"، ويروي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله: (خير نساء ركبن الإبل، صالح نساء قريش، أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده).

وحنان الوالدين، وعطفهما على أولادهما، وحبهما لهم شيء عادي وفطري في الإنسان والحيوان على السواء، ولكن يمتاز الإنسان بالحنان والرعاية الدائمة.

وفي الجانب الآخر، يوصي الإسلام الأولاد برعاية الوالدين، ورد الجميل لهما، برا وإحسانا ومودة وإكراما، وقرر القرآن الكريم ذلك عقب الأمر بإفراد الله تعالى وحده بالعبادة (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا...)، ويأتي حق الوالدين في الأفضلية بعد الصلاة، وقبل الجهاد، كما روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حيث يقول: "سألت النبي صلى الله عليه وسلم : أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: الصلاة على وقتها. قلت : ثم أي؟قال: بر الوالدين. قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله)، ويقول صلى الله عليه وسلم : "لايجزي ولد عن والده، حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه".

وتصل هذه العناية إلى الوالدين وإن كانا مشركين، فأسماء بنت أبي بكر صلى الله عليه وسلم تقول: قدمت على أمي وهي مشركة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: قدمت على وأمي وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال "نعم، صلي أمك) ، فالإسلام يراعي الجانب العاطفي ماوسعه، ويمقت التعصب وضيق الأفق، وجفاف الحنان والعواطف ما أمكنه.

ويمتد هذا الحق إلى الوالدين حتى بعد وفاتهما، فقد سأل رجل من بني سلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله: هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به من بعد موتهما قال (نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهودهما وإكرام صديقهما وصلة الرحم الذي لارحم لك إلا من قبلهما)، وفي إغراء وتحذير يسوق النبي صلى الله عليه وسلم حديثه المضيء للعناية بالأسرة في جانب أوسع، فيقول: (الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله).

ومنهج الإسلام إذن، إعادة التوازن والانسجام بالعلاقات الأسرية على نحو عادل وسليم، وخاصة فيما بين الأبناء والآباء، لما بينهما من عدم التكافئ في الحب والمودة، والأساس الذي تبنى عليه العلائق فيما بينهما، حين يشيخ الأب وتعجز الأم، لذا عنى الإسلام بالوصية بالوالدين، لأن حب الأولاد طبيعي.

ومن يرجع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في هذا الصدد يجد عظمة التوجيه الإلهي في تحديد هذه الصلاة، صالحة لأسس التربية الواجب اتباعها لضمان تربية أجيال صالحة تنفع نفسها وأسرها الصغيرة والكبيرة.

والله ولي التوفيق.